تفسیر

سورۃ الفرقان

جمعية القرآن الكريم

الكتاب:	تفسير سورة الفرقان.
إعداد ونشر:	جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد.
تأليف:	العلامة المفسّر الشيخ محسن قراءتي.
ترجمة:	الأستاذ أحمد عودة.
الطبعة الأولى:	١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م - بيروت - لبنان

جمع حقوق الطبع محفوظة.

تفسیر

سورۃ الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الجمعية

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

يقول سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[1]، اعلم أنّ الإسلام دين لكافة البشريَّة كما بينت الآية، وآيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، فلا يخص أمة دون أخرى ولا جيلاً دون جيل، وعلى عاتق كلِّ مسلم الإهتمام ببث الدعوة ونشرها بين الملأ، وتعتبر من أهم الوظائف الدينية وفي صميمها، ولا ريب أنَّ القرآن الكريم هو السند القوي والوثيق لبناء الدعوة ونشر تعاليم الإسلام، وقد نزل بياناً للناس، فكان لا بد أن يبيَّن للناس ويبث بينهم حتى لا ندان بآية الكتمان لما أنزله الله عزَّ وجلَّ من البينات والهدى.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

إنّ فـي القـرآن مقاصد عاليـة ومطالب سامية، هـي ذوات أهداف عالميـة كبـرى، يجـب بثها والإعـلام عنها لكافـة الأنام، وهـذا لا يتم إلا بتعميـم نشر القـرآن وعرضه على العالمين جميعـاً، ولا يمكن ذلك إلاَّ بترجمـة معانيـه إلى كلِّ اللغـات الموجودة في العالـم كله، ليتعرفوا علـى تعاليمه لينير قلوبهـم فيسلكون طريقه ويعملون بـه فينالون الفوز والرضـوان فـي الدارين، ونحن في جمعيـة القرآن الكريـم نقوم بعمل متواضـع في هذا المجال لتعميم الفائدة وتوصيل الرسالة، يقول الإمام الخامنئـي (دام ظله): «**اليوم جميـع البشر، يحتاجون إلـى القرآن**»، نسألـه سبحانـه أن يوفقنا لأداء مسؤوليتنا في هـذا المضمار، والحمد لله رب العالمين.

جمعية القرآن الكريم
للتوجيه والإرشاد

سُورَةُ الفُرقَانِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا
(١) ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ
يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا (٢)
وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا
وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا (٣) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ
ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا
(٤) وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ
عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا (٥) قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (٦) وَقَالُواْ
مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ

لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ
أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى
هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ

يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمُۢا بُورَۢا ﴿١٨﴾ فَقَدۡ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفًا وَلَا
نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾
وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ
ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ
لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾
۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا
﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ
هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا
وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ

يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ
فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ
وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا
وَنَصِيرٗا ٣١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ
وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢
وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣
ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ
مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ
وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ٣٥ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى
ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ٣٦ وَقَوۡمَ
نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ
ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ
وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ٣٨ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا

لَهُ ٱلْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ
مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ

لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ
وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ
ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ
عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ
خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ
فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ

ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾
وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ
ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ
مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ

لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا
لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا
صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي
لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ﴿٧٧﴾

تفسير
سورة الفرقان

ملامح سورة الفرقان:

نزلت هذه السورة في مكة وعدد آياتها سبع وسبعون آية. في الآية الأولى من هذه السورة عبّر المولى تعالى عن القرآن: «**بالفرقان**»، أي القرآن الذي يفرق بين الحق والباطل، لذلك سميت هذه السورة بسورة «**الفرقان**».

تتحدث السورة عن المشركين وذرائعهم وحججهم وأجوبتهم الخاوية، كذلك تتحدث عن الأقوام والأمم السالفة كأصحاب الرّس، وعن حسرة الناس يوم القيامة، وعلامات التوحيد وظهور عظمة الله تعالى في الطبيعة، ثمَّ مقارنة المؤمنين مع الكافرين، لكن الجزء الأهم في هذه السورة هو الجزء الذي يشير إلى خصائص «**عباد الرحمن**» والذي يبدأ في الآية ٦٣ حتى نهاية السورة المباركة.

نسأل الله العلي القدير أن يمن علينا بألطافه في الدنيا والآخرة، ويوفقنا لأن تكون تلاوة هذه الآيات والتدبر فيها واصلاح سلوكنا وتصرفاتنا على أساس هذه الصفات الرحمانية، فنسعد بذلك في الدنيا والآخرة ونفوز بجنات النعيم، بجوار محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول سبحانه وتعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(١)

نقاط وتأملات:

كلمة تبارك تكررت في هذه السورة ثلاث مرات في الآيات (١، ١٠ و٦١) وجاءت بالماضي؛ ويمكن ان تكون من «**برك**» بمعنى ثبت ودام، ويمكن أن تكون أيضاً من «**البركة**» بمعنى الخير الكثير، وقيل معناها عظُمت بركاته وكثرت، والمعنى الاجمالي أنَّ الذي انزل القرآن هو منشأ الخيرات والبركات الكثيرة، ونزول القرآن هو مثال هذا الخير وهذه البركة، وأي بركة افضل من القانون الالهي والدستور السماوي الذي نقل البشرية عبر مرّ الدهور والعصور من الظلمات إلى النور، وهو باق ما بقي الدهر.

القرآن له نزولان:

النزول دفعة واحدة في ليلة القدر، بصورة نزول دفعيّ على قلب الرسول ﷺ. ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾(١). ونزول ثانٍ تدريجي في مدة وقدرها (٢٣ سنة). ﴿**نَزَّلَ الْفُرْقَانَ**﴾.

---

(١) سورة القدر، الآية: ٥.

كما نقرأ في مكان آخر: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[1].

دروس وبصائر:

١- القرآن حقيقة سامية، ومنبعه مبارك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ﴾.

٢- نظام الإنسان التكويني: (خلقه) لائق بالتمجيد والتنزيه والثناء: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2]، كذلك الأمر، بالنسبة للنظام التشريعي، (نزول القرآن وتدوين أحكام الدين) يليق بذلك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ﴾.

٣- القرآن أفضل وسيلة لمعرفة الحق من الباطل: ﴿الْفُرْقَانَ﴾.

٤- لو لم يُبعث الرسل والأنبياء، ولم يكن من كتب سماوية لبقي الإنسان حائراً: ﴿الْفُرْقَانَ﴾.

٥- جميع الأشخاص لديهم حالة أو نوع من الخضوع والعبودية لشخص ما، لكن المهم أن نكون عبيداً لله تعالى: ﴿عَبْدِهِ﴾.

٦- رسالة نبي الاسلام رسالة عالمية: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

٧- مهمة الأنبياء انذار البشر: ﴿نَذِيرًا﴾.

٨- افعال الله تعالى كلها لها أهداف، وهدف نزول القرآن انذار جميع الناس: ﴿نَزَّلَ... لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

شهر نزول القرآن:

شهر رمضان هو شهر نزول القرآن حيث يقول تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّـذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ**﴾[1]، إذن الفرقان هو كتاب هداية، والهداية من عند الله عزَّ وجلَّ، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**﴾[2].

القـرآن الكريم كتاب هداية ونظـام، والكتب السماوية جميعها كتب هدايـة للانسان، لكن القرآن اكملها واسماها، وقوانينه وتعاليمه جاءت لتوصل الإنسان إلى قمة السعادة.

والقـرآن الكريم، كمـا تُحَدِّثنا آياته الشريفة، هـو كتاب نور وكتاب هداية مبين، يهدي الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وهو شفاء للجسـم والـروح: ﴿**قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَـابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللهُ مَـنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[3].

صحيـح أنَّ حاجـة الإنسـان إلى القـرآن الكريم لا تختص بزمان محـدد، لكـن يمكن القول وبكل جـرأة أنَّ حاجة الإنسـان المعاصر إلى آياتـه النورانيـة أكثـر مـن أي وقـت وأي زمـان مضى بمراتـب كثيرة. فالإنسـان في هذا العصر ابتعد عن ذاته وتغرّب عنها، ونأى بنفسه عن الأخـلاق والأحاسيس الإنسانية والعواطف البشرية، وأصبح يعيش في قلـق واضطراب، وهو يتعطَّش للحقيقة الأصيلـة الخالصة، يبحث عن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة الليل، الآية: ١٢.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

ماء الحياة، ولن يجده إلا في كتاب الله كتاب النور والهداية.

يقـول رسول الرحمة محمد ﷺ: «**فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنَّه شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنَّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النَّار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعروف (المعرفة) لمن عرفه**»[1].

ويقـول إمـام المتقيـن شهيـد محـراب شهـر رمضان الامـام علي عليه السلام: «**اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمىً**»[2].

إنَّ كلَّ يـوم يمضـي من عمر العالم يـدرك البشر أنَّهـم أكثر حاجة إلـى الارتباط بالخالق والوحي والنبوة والكتـاب السماوي، الذي هو نور وهدايـة وتذكر وموعظـة وبرهان وشفاء وحكمة وعلـم، وسفينة القرآن أكثر أماناً من أيِّ سفينة أخرى، من الأخطار، خصوصاً عند الكلام عن بحر من العلوم، فكلَّما تقدمت العلوم في هذا العالم أصبح القرآن أكثر تجليـاً ووضوحاً وبياناً، وظهرت أسراره فهو في اشراق دائم، وقد صرَّح صاحـب هذا الكتاب منذ أول نزوله بأنَّه يتحـدى المخالفين والخصوم

---

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ٥٩٩.

(٢) نهج البلاغة: خطبة، ١٧٤.

والمعاندين على مدى التاريخ، قديماً وحاضراً ومستقبلاً، أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثل سوره، أو آية من آياته، ولو اجتمعت العقول والأفكار وكان بعضها ظهيراً لبعض، فإنَّهم عاجزون عن ذلك: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

القرآن هو الكتاب الذي اهتم بمسائل المجتمع صغيرها وكبيرها البسيطة منها والمهمة، فطرحها للعالم الفاهم وللانسان العادي البسيط، بحيث خضع له الجميع وذلت أعناقهم لمعاجزه وعلومه، لذلك نرى أنَّه من اللائق، بل والواجب، أن نعمل ونجهد لنطوي الطريق للوصول إلى السعادة الأبدية، وذلك بالعمل بهذا الكتاب الذي هو شفاء للصدور والقلوب والأرواح وهدى ورحمة للعالمين، فهو العلاج الشافي للآفات والأمراض الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وسفينة النجاة بين أمواج البلاء المتلاطمة للوصول إلى شاطىء الأمان والسعادة، لكن ما يدعو إلى الأسف اليوم أنَّ القرآن غدا مهجوراً حتى بين المسلمين، فالبعض لا يقدر حتى على تلاوته، والبعض لا يقرؤه، والبعض الآخر محروم من ألطافه وأسراره، وآخرون لا يعملون به وبأحكامه وتعاليمه. إنَّ هذا الهجر سبب أكثر البلايا التي أصابت الأمة الإسلامية، وهذا الكتاب المهجور سوف يشتكي هجره إلى صاحبه وخالقه تعالى، والذي بعث به بالحق نبياً سوف يشكو إلى ربِّه من هجر أمته للقرآن قال الرسول ﷺ: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[2].

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

يجب أن نعلم أنَّ هذا القرآن ليس كتاباً للتلاوة والتجويد والحفظ وإجراء المسابقات والزينة والاحتفالات، وعند السفر والتشييع، أو وسيلة للقسم والقراءة عند قبور الأموات، وأمثال ذلك فقط، صحيح أن هذه الأمور تشير إلى حضور القرآن في جميع ميادين حياتنا، وأنَّ الناس يحترمونه، لكن ليس هذا هو المطلوب فقط، ولا يجب أن نكتفي بذلك، لأنَّ المسألة التي تعد أكثر أهمية من التلاوة والتجويد، هي التدبر والتفكر والعمل بآياته وأحكامه، وهذا ما أمرنا به الله تعالى، وكل من لا يأتمر بأوامر الله سبحانه فإنَّه يحرم من ألطافه، ويكون في معرض الذم والتقبيح: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1].

وبمناسبة الحديث عن نزول القرآن في شهر رمضان، نتساءل.

هل أقمنا القرآن حقاً في شهر رمضان؟ كم نستأنس به وبمفاهيمه وإلى أي حد نعرفها؟ هل نقيّم أسلوب حياتنا على أساس القرآن ونعمل لأن تكون جميع حركاتنا وسكناتنا مطابقة لتعاليمه؟ لماذا لا نقرأ تعاليم خالقنا ووصاياه وأحكامه ولا نتأمل بها ونعمل طبقا لذلك؟!.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾(٢)

نقاط وتأملات:

إنَّ أعلى درجة الحكم والحاكمية لله تعالى، فهو الحاكم على السموات والأرض وكلّ الوجود، وله ملك كلّ شيء، لأنَّ لا وريث له حتى

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

ينتقل الحكم إليه، ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، ولا شريك له في ملكه لكي يشاركه في الحكم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ﴾.

المشركون كل يعتقد على نحو ما أنَّ لله ولد، أو أنَّ له شريك، والقرآن الكريم قد ردّ هذه العقيدة الباطلة وعدها نوعاً من الخرافة، وهذا التأكيد تكرر في القرآن مراراً.

دروس وبصائر:

١- الله تعالى غني وغير محتاج: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ... لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾.

٢-كل المخلوقات تتبع من قدرة واحدة، قدرة الخالق: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

٣-الحكم وتدبر السموات والأرض وما بينهما بيد خالق الوجود: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

٤-الخلق دقيق جداً وله كتاب وحساب مقدر: ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾(٣).

دروس وبصائر:

١- الإيمان بالله والاقرار بربوبيته أمر فطري، بحيث أنَّ الإنسان إذا ترك هذا الاقرار ولم يتخذ الله رباً له، فإنَّه سوف ينحرف وسيتَّبع

ارباباً باطلة: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾.

٢- مواجهة المشركين تكون بالبرهان والإستدلال والمنطق؛ لأنَّ العبودية يجب أن تترافق مع التفكر: ﴿لَا يَخْلُقُونَ... وَلَا يَمْلِكُونَ﴾. فحتى الحيوان يمكنه جلب المنفعة ودفع الضرر عن نفسه لكن الأصنام لا يستطيعون ذلك.

٣- من الدلائل والبراهين على عبودية الإنسان، قدرة المولى الخالق تعالى على حل المشاكل وتيسير العسير وفك العقد، غير أن الأصنام لا يملكون أي قدرة على ذلك: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾.

٤- دفع الضرر مقدَّم على جلب المنفعة: ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

٥- الأصنام ليس لها القدرة على فعل أي شيء من أمور الدنيا والآخرة فهي عاجزة تماماً: ﴿وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤).

نقاط وتأملات:

كلمة «**افك**» تعني الكذب و «**زور**» تعني الكلام الباطل والكاذب.

دروس وبصائر:

١- الكفار وبدلاً من الاتيان بالدليل يعمدون إلى إلباس الكتب السماوية لباس الكذب: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾.

٢- اسلوب الكفار تحقير الكتاب: ﴿إِنْ هَذَا﴾ وتحقير الأنبياء: ﴿افْتَرَاهُ﴾.

٣- الكفار والمخالفون يعترفون بعظمة القرآن ويقرّون بذلك، بدليل

أنَّهم يدّعون أنّ هذا الكتاب لا يمكن لشخص واحد ان يأتي به بل أعانه على ذلك أشخاص آخرون: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ﴾.

٤- يقول الكفار: إنَّ النبي يستعين بغيره في الكذب والافتراء، وهذا لشدة بغضهم وحقدهم على الدين ونبيه: ﴿افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ...﴾.

٥- لا يستطيع الكفار أن يذكروا اسماء اعوان النبي، لأنه لا دليل لديهم ولا مستند: ﴿قَوْمٌ آخَرُونَ﴾.

٦- إنَّ خداع عوام الناس عن طريق التحقير والتهمة ومنع الهداية لهو ظلم لأنفسهم وللآخرين: ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

نقاط وتأملات:

كان الكفار يشكلون على مضمون القرآن، ويدّعون أنَّه لم يأت بجديد، بل ليس أكثر من أساطير قديمة عفى عليها الزمن: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، كذلك الأمر كانوا يتهمون الرسول بأنَّه اكتتب آيات القرآن: ﴿اكْتَتَبَهَا﴾، وله في ذلك اعوان يساعدونه فهي: ﴿تُمْلَى عَلَيْهِ﴾.

دروس وبصائر:

١- يجب مراعاة الأمانة في بيان مطالب المخالفين: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

٢- الجواب المناسب للذين ينطقون بالترهات والادعاءات الواهية: ﴿قُلْ﴾.

٣- القـرآن الكريم ليس مـن صنع البشر، بل أرسلـه الذي يعلم بجميع أسرار الوجـود والخلق، وهو خالق هذا الوجـود: ﴿أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ...﴾

٤- إنَّ بـاب التوبة مفتوح حتـى لأولئك الذين يرمون القرآن بالادعاءات الواهيـة بأنَّه أساطير الأولين، ويتهمـون الرسول بالكذب: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

٥- العفو ليس كافياً، بل الرحمة واللطف: ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

٦- نزول القرآن مظهر الرحمة وباب لتلقي المغفرة والرحمة الالهيتين: ﴿أَنزَلَهُ... غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (٧).

نقاط وتأملات:

فـي هذه الآيـة ينتقد الكفارُ رسـولَ اللّه ﷺ لأنَّه مثـل الآخرين من البشـر يأكل الطعـام ويمشي فـي الأسـواق، وفي الآيـة (٢٠) من هذه السـورة يأتي الجـواب، بأن جميـع الأنبياء قبل محمـد ﷺ كانوا بشراً يأكلـون الطعام ويمشـون في الأسواق، فإذا كانـت المسألة بالتذرع فإنَّ التعلق بالذرائع من أسهل الأمور.

دروس وبصائر:

١- بعضـ الأشخاص يعدّون «الكمال الإنساني» نقصاً وعيباً: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾.

٢- الدعـوة إلـى الله تعالى لا تتنافـى اطلاقاً مع إحـراز مسائل دنيوية تتعلق بحياة البشر: ﴿الرَّسُولِ يَأْكُلُ... وَيَمْشِي﴾.

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾(٨).

نقاط وتأملات:

في الآية السابقـة اعترض الكفار على الرسول ﷺ، وكانوا يتوقعون أنَّ النبي لا يجـب أن يكون لديه حاجات جسدية، فيأكل ويشرب ويمشي فـي قضاء حاجاته كالبشر العاديين: ﴿مَالِ هَـذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِـي فِي الْأَسْوَاقِ﴾. في هذه الآية يعترض الكفار على الرسول لأنَّه ليس مـن المرفهين الأغنيـاء، فيتوقعـون أنَّ النبي يجـب أن يكون من المترفيـن الأغنياء وأصحـاب البساتيـن فيمشي بين النـاس وليس له حاجـة: ﴿يُلْقَى إِلَيْهِ كَنـزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾، غافلين عـن أنَّ الشخص المرفـه الغنـي كيـف يمكنـه أن يكـون قائـداً للفقـراء والمستضعفين والمعذبين في الأرض وأسوة حسنة لهم؟!

دروس وبصائر:

١- أصحـاب الدنيا وأتباعها ينظرون - حتى إلى الرسول ﷺ - من زاوية مادية صرفة: ﴿يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ﴾.

٢- التـذرع في مواجهة عمـل الأنبياء ظلم: ﴿وَقَـالَ الظَّالِمُونَ﴾. وهذا النـوع من الظلم هو السبب في حرمان الإنسـان نفسه من الهداية، وهو أيضاً عامل لتخريب الآخرين وانحرافهم: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ

تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾.

٣- الكفار والظالمون والأعداء في كل لحظة لديهم ذرائع: ﴿يَأْكُلُ - وَيَمْشِي - لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ - أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ﴾.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾(٩).

نقاط وتأملات:

في هذه الآية يمكن الاستنتاج أنَّ الأشخاص الذين يتذرعون بذرائع شتى ويطرحون توقعات واهية ليست في محلها من أجل الصد عن السبيل القويم ومنع ارشاد الأنبياء وهدايتهم، لن يوفقوا في هدفهم.

دروس وبصائر:

١- النظر بدقة وتمعن إلى ذرائع الأعداء وادعاءاتهم: ﴿انْظُرْ﴾.

٢- ضرب المثل والتشبيه في غير محلهما ارضية مناسبة للانحراف والضلال، ويجب التأمل في ذلك: ﴿فَضَلُّوا﴾.

٣- إن ترك منطق الرسول وعدم الالتفات إلى معجزته وكلماته والذهاب وراء المال والمقام والتذرع هو ضلال واضح مبين: ﴿فَضَلُّوا﴾.

٤- التذرع والتوقعات التي لا مكان لها تستطيع أن تلوث المحيط بحيث لا يستطيع بعدها الناس تشخيص الطريق: ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ (١٠).

نقاط وتأملات:

في الآيات السابقة اظهر الكفار حججهم وتوقعوا أنَّ النبي يجب أن يمتلك الكنوز والبساتين، في هذه الآية يقول تعالى في رده على حججهم: «**لو شاء الله لجعل للرسول بدل البستان بساتين وبدل القصر قصوراً**».

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة القاصعة: «**ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم، أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقْيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء، ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء... ولو كانت الأنبياء اهل قوة لا ترام، وعزة لا تضام، وملك تمتد نحوه أعناق الرجال، وتشد إليه عقد الرحال، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار... ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أو رغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة**»[1].

دروس وبصائر:

١- الله هو منبع البركات: ﴿**تَبَارَكَ**﴾.

٢- حياة الأنبياء تكون على أساس المصلحة الإلهية: ﴿**إِنْ شَاءَ جَعَلَ**﴾.

٣- الفقر والغنا في يد الله تعالى: ﴿**إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ**﴾.

---

(١) نهج البلاغة: خطبة، ١٩٠.

٤- ارادة الله عزَّ وجلَّ ماضية فإن شاء فعل، وهي لا تقبل التخلف: ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾(١١).

نقاط وتأملات:

كلمة «**السعير**» تعني النار المستعرة الملتهبة الحارقة.

دروس وبصائر:

١- إنَّ تذرع الكفار ينبع من عدم اعتقادهم بيوم القيامة: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ**﴾.

٢- تكذيب المعاد مسألة خطيرة جداً، لذلك تكررت: ﴿**كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا**﴾.

٣- الجنة والنار خلقتا قبلاً واعدتا مسبقا: ﴿**وَأَعْتَدْنَا**﴾.

٤- الذنب الكبير (التكذيب بالقيامة)، يستتبع عذاباً كبيراً (نار حارقة): ﴿**كَذَّبَ ـ سَعِيرًا**﴾.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾(١٣).

نقاط وتأملات:

كلمة ﴿**تَغَيُّظًا**﴾ بمعنى اظهار الغيظ وشدة الغضب بحيث يترافق احياناً مع الضجيج. وكلمة ﴿**وَزَفِيرًا**﴾ صوت النفس عند الشدة وضيق

الصدر من شدة الحزن والغم، وهذا يدل على شدة التهاب النار وغليانها. أما كلمة ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ فتعني مصفدين بالأغلال، و ﴿ثُبُورًا﴾ أي الويل والهلاك.

نار جهنم كبيرة جداً بحيث إذا سئلت يوم القيامة ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[1]، لكن مع وجود هذه الوسعة في جهنم إلا أنَّ الكفار يضيق عليهم المكان ويلقون في مكان ضيّق من النار، ومثال ذلك المسمار في الحائط فمع سعة الحائط إلا أنَّ المسمار يدق فيه، فيضيق عليه المكان. جاء في الحديث النبوي الشريف، أنَّه عليه السلام قال: «**والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط**»[2].

إنَّ الغفلة عن الله عزَّ وجلَّ يستتبع ضيقاً شديداً في الدنيا والآخرة، في الدنيا ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[3]. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[4]، وفي الآخرة. ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ الآية مورد البحث. من جهة أخرى نجد العكس، فالإيمان بالله سبحانه يستتبع وسعة في الدنيا: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[5]، وفي الآخرة: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[6].

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٠.
(٢) انظر تفسير مجمع البيان: ج ٨٧، ص ٢٥٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٤) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

يقـول الإمام الصادق عليه السلام: في هذه الآيـة أنَّ المراد من ﴿مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من مسافة سفر عام كامل.

دروس وبصائر:

١- جهنَّم لها نوع من الادراك والإحساس بحيث ترى الناس: ﴿رَأَتْهُمْ﴾.

٢- المعاد جسماني وهو بحاجة إلى حيِّز مكاني: ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

٣- اهل النار مصفدون بالأغلال ولا مجال للفرار ابداً: ﴿مُقَرَّنِينَ﴾.

٤- يلقى بأهل النار في جهنَّم بشكل تحقيري: ﴿أُلْقُوا﴾. ولم يقل: ﴿دَخَلُوا﴾.

٥- صـراخ أهل جهنَّم وصياحهم يسمع من مـكان بعيد: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾. وهنالك تفيد البعد.

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾(١٥).

دروس وبصائر:

١- ليس للكفار يوم القيامة من مغيث: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

٢- الجنَّة خالدة: ﴿جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾.

٣- الوعد بالجنة قطعي وحتمي: ﴿جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.

٤- من طـرق معرفة الحق المقارنة بين الحق والباطل: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾.

٥- الخوف والرجاء، والتبشير والانـذار، إلى جانب بعضه يعد مؤثراً: ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا... جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾.

٦- إنَّ مفتاح الدخول إلى الجنَّة «في كلِّ أمر» هو التقوى: ﴿جَنَّةُ الْخُلْدِ... وعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا﴾(١٦).

نقاط وتأملات:

ليس هناك من شك في أبدية الجنَّة وخلود المؤمن فيها، وقد ذكر الخلود في آيتين متتاليتين.

الإنسان في هذه الدنيا قد يصل إلى بعض مراده بعد مدَّة من الجهد والسعي، لكن في الآخرة يصل إلى كلِّ ما يريد ويطلب بإرادة الله عزَّ وجلَّ.

الله تعالى صادق الوعد وكلُّ وعوده محققة: ﴿وَعْدًا مَسْئُولا﴾، فالإنسان يعدُ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ...﴾، لكن المؤمنين فقط يراعون وعودهم وعهودهم ويعملون بها: ﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ... مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ...﴾.

دروس وبصائر:

١- المتقون في الجنَّة لهم ما يشاؤون، وكلّ ما يطلبون يصل إليهم: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ﴾. فالوصول إلى كامل الرغبات ليس ميسراً في الدنيا، وتحقيق المبتغى الكامل وتمام المراد فقط في الجنَّة، وهذا ما يستفاد من مجيء كلمة «لهم» قبل كلمة ﴿مَا يَشَاؤُونَ﴾.

٢- في الجنَّة: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ﴾، لكن في النار: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾، لا تُحقق لهم أي رغبة.

٣- الله عزَّ وجلَّ أخذ على نفسه العمل بما وعد: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾(١٧).

نقاط وتأملات:

- عرّف القرآن الكريم عوامل الضلال والانحراف بما يلي:

١- رفيق السوء: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾[١].

٢- اتباع الهوى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[٢].

٣- العلماء المنحرفون: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللهِ﴾[٣].

٤- القادة والحكام الضَّالون: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾[٤].

٥- الشيطان: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[٥].

٦- الأكثرية الضَّالة: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[٦].

٧- الآباء الضَّالون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا ـ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٧].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٩.
(٢) سورة ص، الآية:٢٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٩.
(٤) سورة طه، الآية: ٧٩.
(٥) سورة القصص، الآية: ١٥.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.
(٧) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

الدافع إلى السؤال ليس أمراً واحداً:

١- السؤال يكون أحياناً للاستفسار والفهم: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[١].

٢- ويكون أحياناً للتوبيخ: ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ﴾[٢]. والمراد هو توبيخ اتباع عيسى عليه السلام والله تعالى يعلم أنَّه لم يقل لهم ذلك، لكن السؤال من باب التوبيخ والعتاب لهم لما فعلوه من اتخاذ عيسى وأمه عليهما السلام إلهين وشريكين لله تعالى.

دروس وبصائر:

١- يوم القيامة يتم استجواب المشركين وما يعبدون من دون الله تعالى: ﴿يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ... فَيَقُولُ...﴾.

٢- يوم القيامة تبعث موجودات غير الإنسان وتحشر لكي تتم الحجة: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ كالأصنام وغيرها.

٣- يوم القيامة تحشر الأصنام ولها شعور وتملك الاحساس فيتم توجيه الخطاب اليها لكي لا يبقى عذرٌ للانكار: ﴿أَأَنتُمْ﴾، يذكر- بناء لبعض الآيات- أن جميع الموجودات يوم القيامة تملك شعوراً وإحساسا.

٤- إنَّ عبادة الله الواحد امر فطري موجود في جميع البشر، أما انحراف البشر فهو أمر عارض: ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ... أَمْ هُمْ ضَلُّوا﴾. وإنَّ كلمة ﴿السَبِيلِ﴾ علامة واضحة على أنَّ الطريق الحقيقي هو هذا الطريق الطبيعي الفطري.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣، وسورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾(١٨).

نقاط وتأملات:

كلمة «بور» تعني الفساد والهلاك والعمل الباطل، والأرض البور التي ليس فيها زرع.

- كلمة سبحانك تستخدم في موردين، الأوَّل: عند التعجب، والثاني: في التسبيح والتنزيه للباري تعالى.
- النسيان إذا كان عارضاً وللحظات قليلة وخارج الارادة فهو معفو عنه، لكن إذا طال على أثر الغفلة والانغماس في الشهوات والأهواء وحب الدنيا، فهو مذموم مقبوح من قبل المولى عزَّ وجلَّ، بل يكون عرضة للقهر والعذاب الإلهي.
- المعبودون من دون الله من الجمادات يقولون لا يليق أن نتخذ ولياً من دون الله سبحانه، لكن البشر نسوا الذكر وضلّوا واتخذوا اولياء من دون الله عزَّ وجلَّ.

بحث:

عوامل النسيان والغفلة:

١- المال والثروة ومتاع الدنيا: ما ورد في الآية مورد البحث.

٢- الأولاد والعائلة: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[١].

ج - التجارة: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[٢].

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

د - الشيطان: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

دروس وبصائر:

١- المعبودون يتكلمون يوم القيامة، ويدافعون عن أنفسهم: ﴿قَالُواْ﴾.

٢- الله عزَّ شأنه لا يمنع نعمه حتى عن المنحرفين والكفّار: ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾.

٣- المال خطير عندما يكون سبباً في نسيان الله وذكره سبحانه، وليس المال سيئاً وخطيراً مطلقاً: ﴿مَّتَّعْتَهُمْ... حَتَّى نَسُوا﴾.

٤- عندما تعيش الأقوام مرفهة لعدَّة أجيال، فإنَّ ذلك يهيىء الأرضية أكثر لنسيان الله والقيامة: ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾.

٥- لا يجب التطلع إلى مال المرفهين وثرواتهم ومظاهرهم، فكل ذلك فانٍ وزائل: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾(١٩).

نقاط وتأملات:

- لقد بين الله تعالى في القرآن آثاراً للظلم، ومن جملة ذلك:

١- عدم الفلاح: ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ فالمولى عزَّ وجلَّ لا يوفق

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩١.

الظالمين في الوصول إلى أهدافهم ومؤامراتهم.

٢- الحرمان من الألطاف الالهية: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

٣- العذاب الكبير: الآية مورد البحث: ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ وكذلك: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾[١].

٤- عدم إمكانية الافتداء في مقابل العذاب: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾[٢].

٥- عدم قبول العذر: ﴿لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾[٣].

٦- الأسوأ من عدم قبول العذر، عدم الاجازة لتقديم العذر: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

دروس وبصائر:

١- المعبودون الخياليون والأصنام لا يستطيعون نصراً ولا عوناً، ليس هذا وحسب، بل يخطئونكم ويكذبونكم: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾.

٢- الإنسان المشرك لا يتمتع بأي حماية أو نصرة في يوم القيامة، وهو عاجز عن القيام بأي عمل من أجل نجاة نفسه: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾.

٣- المشرك ظالم، فجملة ﴿وَمَن يَظْلِم﴾ جاءت في سياق ﴿وَمَن يُشْرِكْ﴾.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ٥٢.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾(٢٠).

دروس وبصائر:

١- من السنن الإلهية إرسال الأنبياء: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾**.

٢- التعرّف إلى التاريخ يسقط السلاح من يد المتذرعين، ويكون سبباً في مواساة الرسول الأكرم ﷺ أيضاً: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ... إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾**.

٣- جميع الأنبياء عاشوا حياة بشرية: **﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ﴾**.

٤- المربي والمعلم يجب أن يتواجد بين الناس ويعيش بينهم: **﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾**.

٥- حياة الأنبياء البسيطة امتحان للناس: **﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾**. فلو أنَّ الأنبياء عاشوا حياة الملوك والسلاطين وكانوا يملكون القصور والذهب والخدم والحشم، لاجتمع الناس حولهم وتبعوهم بسبب حب الدنيا وطلبها، وهذا النمط من الاتباع ليس له قيمة. إنَّما القيمة الحقيقية في أن يتبع الإنسان شخصاً عادياً في الظاهر ويطيعه.

٦- واحدة من وسائل الامتحان والفتن، هم الناس أنفسهم: **﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾**، فأحياناً يكون الشخص غنياً ليتبين أمره

أيشكر أم يكفر ويطغى، وآخر يكون فقيراً ليمتحن أيصبر أم يحسد الأغنياء.

٧- الصبر هو مفتاح التوفيق في الامتحانات الإلهية: ﴿فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾.

٨- فلسفة الامتحانات الالهية تربية البشر: ﴿رَبُّكَ﴾.

٩- الامتحانات الإلهية لا تكشف أي مسألة للمولى تعالى ولا تزيده علماً، لأنَّه بكلِّ شيء عليم وبصير ومحيط: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾، فالامتحانات الإلهية تهدف إلى تفتح الخصال الإنسانية الباطنية وبروزها، لأنَّ العذاب والعقاب يكون على أساس بروز هذه الخصال وظهورها، فليس من المعقول أن يمنح الشخص أجراً على علم أو فن يملكه، بل يمنح الأجر عندما يظهر هذا العلم وهذا الفن ويتبلور في قالب عملي؛ وعند ذلك يستحق الجزاء.

١٠ - - العلم بأنّا جميعاً تحت نظر الله سبحانه وفي عينه عامل في إيجاد الصبر: ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾(٢١).

نقاط وتأملات:

«**العتو**» هو أسوأ أنواع الظلم.

يطلق على يوم القيامة يوم «اللقاء» ففي ذلك اليوم ترتفع الموانع وتزول الغفلة والجهل، ويرى جميع الناس العظمة الالهية بأعينهم: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾[1].

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٥.

دروس وبصائر:

١- عدم الاعتقاد باليوم الآخر والمعاد هو الأساس التي تقوم عليه الذرائع والمتذرعون في مواجهة الأنبياء: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا...﴾.

٢- إنَّ مجرد الرجاء بلقاء الله وباليوم الآخر كافٍ لبناء الإنسان في طاعته لله تعالى واللقاء ﴿لَا يَرْجُونَ﴾، كذلك الأمر بالنسبة إلى أكثر السعي فإنَّه يكون رجاء الوصول إلى الهدف.

٣- يوم القيامة يوم لقاء اللطائف الالهية أو القهر الالهي، بحسب ما يقدم كلّ إنسان لذلك اليوم واللقاء: ﴿لِقَاءَنَا﴾.

٤- الكفار يصدقون الملائكة: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾.

٥- الماديون ينظرون إلى كلّ المسائل من منظار مادّي وهم يطلبون رؤية الله تعالى بالعين المجردة: ﴿نَرَى رَبَّنَا﴾.

٦- إنَّ منبع الطغيان والاستكبار هو الغرور الباطني والاستكبار النفسي: ﴿اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، «إنَّ كلَّ إناء بما فيه ينضح».

٧- المعاصي والطغيان لكل درجات: ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾(٢٢).

نقاط وتأملات:

في الآية السابقة كان الحديث عن المستكبرين الذين لا يرجون لقاء الله ويتوقعون نزول الملائكة عليهم، في هذه الآية يبين المولى عزَّ وجلَّ أنَّ الملائكة سوف تنزل عليهم، لكن بدل أن تحمل إليهم النور والوحي،

سوف تحمل إليهم أشد أنواع التهديد والعذاب، وهذا اليوم هو يوم موتهم كما الحديث الشريف عن الامام الباقر عليه السلام، حيث يأمر المولى سبحانه ملك الموت بأن ينزل ويقبض أرواح الكافرين، وعندما تصل أرواحهم إلى حناجرهم تضربهم الملائكة على وجوههم وأدبارهم[1].

كلمة الحجر بمعنى (المنع)، ويقال للعقل (حِجر) لأنَّه يمنع الإنسان من التخلف: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[2].

رؤية الله تعالى شيء محال، لكن رؤية الملائكة في ظروف خاصة شيء ممكن: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾. كذلك نقرأ في آيات أخرى حول رؤية الملائكة وتكلمهم مع البشر، حيث يسلِّمون على المؤمنين يوم القيامة وكذلك حديثهم مع الكافرين...

دروس وبصائر:

١- المجرمون (الذين يتوقعون نزول الملائكة عليهم) لا تأتيهم البشرى من أي جهة: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾(٢٣).

نقاط وتأملات:

«**الهباء**» يعني التراب الناعم (ما يرى من ذرات الغبار في شعاع الشمس) و«**منثورا**» يعني المبعثر والمتفرق. يشبِّه القرآن الكريم عمل الكفار بالرماد الذي تذروه الرياح وتبعثره: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

(١) راجع بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٨، ص ٣١٧.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٥.

﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾[1].

وفي آية أخرى يشبِّه القرآن الكريم عمل الكفار بالسّراب الذي يحسبه الظمآن ماء.

ورد في الروايات مصاديق كثيرة حول هذه المسألة، وقد تحدثت بعض هذه الروايات عن أشخاص يصلُّون ويصومون لكنَّهم لا يتورعون عن أكل الحرام، أو ممن يكنُّون البغض والحقد لأمير المؤمنين علي عليه السلام ومحبِّيه، وهؤلاء من مصاديق الذين تذهب أعمالهم هباءً منثوراً.

دروس وبصائر:

١- في يوم القيامة تتجسد أعمال الإنسان: ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً...﴾.

٢- جميع أعمال المجرمين تذهب هباءً: ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ... هَبَاءً﴾.

٣- لا يجب أن نطمئن إلى عملنا وسعينا، فكم من عمل يبقى بلا أثر ولعلَّ عاقبتنا تكون عاقبة سوء: ﴿هَبَاءً﴾.

٤- إنَّ النية والحافز هما روح العمل الذي ينجزه الإنسان، فالعمل من دون عقيدة صحيحة وإخلاص لا فائدة منه، فهو عبث: ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾(٢٤).

نقاط وتأملات:

كلمة (مقيل) تعني المكان الـذي يؤوى إليه للاستراحة، وهي أيضاً بمعنى الاستراحة وسط النهار.

دروس وبصائر:

١- التشويـق والبشارة أمر ضروري إلى جانب التحذير والإنذار: ﴿**هَبَاءً مَّنثُورًا – خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**﴾.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾(٢٦).

نقاط وتأملات:

كانـت السمـاء فـي البدايـة دخاناً: ﴿**ثُـمَّ اسْتَـوَى إِلَى السَّمَـاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾[1]، ثمَّ أنَّها في المستقبل سوف تتلاشى: ﴿**تَشَقَّقُ السَّمَاءُ**﴾.

يوم القيامة لا شيء ينفـع الكافرين، لا الواسطة ولا الأعذار، ولا الأولاد والأقرباء والمقام والأموال، لذلك فهو يوم ثقيل عليهم.

بالنسبـة إلى كلمة «**الغمام**» فيحتمل أن يكـون المعنى أنَّ السماء تتشقق مـع الغمام، فتشقـق السماء مترافق مع الغمام. أمـا جملة: ﴿**وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَـةُ تَنْزِيلًا**﴾ فيستفاد منها أن نـزول الملائكة في يوم القيامة غير متوقع ويكون نزولاً خاصاً...

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.

دروس وبصائر:

١- المالكية والحاكمية الالهية أمر حقيقي وواقعي وليس اعتبارياً وعارضاً ولا ظالماً: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾.

٢- يوم القيامة يوم تجلي الرحمة الإلهية: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا(٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا(٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾(٢٩).

نقاط وتأملات:

«**الخذلان**» تطلق عندما يأمل الإنسان في حماية شخص آخر، ثمَّ هذا الشخص يتركه، خصوصاً عند الشدَّة.

ورد في الروايات أنَّ القائد الإلهي هو مصداق «**الذكر**» والإضلال عن «**الذكر**» يعني الضلال عن القائد الحق.

بحث حول الصاحب والصحبة:

لقد اهتم الإسلام بمسألة اتخاذ الصاحب، وكانت له توصيات كثيرة حول المصاحبة، وقد شجع على مصاحبة أفراد ونهى عن مصاحبة آخرين، وهنا الموضوع يحتاج إلى بحث مستقل، لكن نشير هنا إلى بعض العناوين الفرعية لهذا الموضوع:

في هذا البحث المختصر إشارة إلى بعض الروايات والأحاديث التي تتحدث عن الصاحب والمصاحبة، علماً بأنَّ الآيات والروايات

التـي تتحدث عن طرق معرفة الصاحب أو الصديق، وحدود الصداقة، واستمرارهـا، أو قطع الصداقة، والدوافع إلـى إقامتها وآداب معاشرة الأصحاب وحقوق الصحبة كثيرة، ولا مجال لذكرها في هذا البحث.

١- قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**المـرء على دين خليلـه، فلينظر أحدكم من يخالل**»[١].

٢- «**الوحدة خير من رفيق السوء**»[٢].

٣- يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**الصديق أقرب الأقارب**»[٣].

٤- يقـول الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تسمِّ الرجل صديقاً سمة معرفة حتى تختبره بثلاث: تغضبه فتنظر غضبه يخرجه من الحق إلى الباطل، وعند الدينار والدرهم، وحتى تسافر معه**»[٤].

كذلـك وردت آيات وأحاديث مفصلة حول اتخـاذ الخليل والصديق والرفيق، وكتب الأدباء ونظم الشعراء في ذلك الكثير.

دروس وبصائر:

١- الحسـرات الباطنية تؤثر في الأعمـال والسلوك عند الإنسان بحيث تجعل الإنسان يعض على يديه: ﴿**يَعَضُّ الظَّالِمُ**﴾.

٢- تـرك طريـق الأنبياء ظلم: ﴿**يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَـى يَدَيْهِ**﴾ وهو ظلم لنفسه وظلم للأنبياء.

٣- عذاب يوم القيامة شديد: ﴿**يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**﴾ وليس يعض على اصبع أو يد واحدة بل يعض على يديه.

---

(١) أمالي الطوسي: ١١٣٥/٥١٨. وبحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٩٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٣٤.

(٣) ميزان الحكمة: ج ٥، ص ٢٠٩٤.

(٤) أمالي الطوسي: ص ٦٤٧، ح ١٣٣٩.

٤- يوم القيامة يستيقظ الضمير ويستيقظ الوجدان: ﴿يَعَضُّ - يَقُولُ﴾.

٥- الندم دليل على أنَّ الإنسان مختار، ولو كان الإنسان مجبوراً لم يكن للندم معنى: ﴿يَا لَيْتَنِي﴾.

٦- الصداقة والرفقة غير المشروعة اليوم تحمل في طياتها خطراً على الغد: ﴿يَا لَيْتَنِي﴾ الصداقة مؤثرة على مستقبل الإنسان.

٧- الإيمان وحده ليس كافياً، يجب أن يترافق مع اتباع الأنبياء: ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾.

٨- الاتصال والارتباط مع الأنبياء هو طريق النجاة، حتى ولو كان هذا الارتباط قليلاً: ﴿سَبِيلاً﴾.

٩- لا يتسع القلب إلى رفيقين (متناقضين) وحبين: ﴿**رفقة النبي ورفقة الإنسان الضال**﴾، ﴿**اتخذت مع الرسول... لم اتخذ فلاناً خليلاً**﴾.

١٠ - الرفقاء المنحرفون من عوامل الشيطان وجنوده: ﴿**فُلَانًا خَلِيلًا... وَكَانَ الشَّيْطَانُ**﴾.

١١- أسماء الأشخاص ليست مهمة، المهم أفعالهم: ﴿**فُلَانًا - أَضَلَّنِي**﴾.

١٢- علامة رفيق السوء الإضلال والغفلة: ﴿**أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ**﴾.

١٣- تتغلب أحياناً عواطف الصداقة والرفقة على الاستدلال والمنطق: ﴿**أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي**﴾.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾(٣٠).

نقاط وتأملات:

«**الهجر والهجران**»: مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن، أو باللسان

أو بالقلب، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ فهذا هجر بالقلب أو بالقلب واللسان.[1]

يجب أن تكون العلاقة بين الإنسان والقرآن الكريم علاقة دائمة وفي جميع أبعاد الحياة، وكلمة «هجر» تستخدم حيث تكون العلاقة بين الإنسان والشيء ضعيفة.

رفع هجر القرآن:

يجب أن نسعى في جميع الاتجاهات لكي نرفع الهجر عن القرآن الكريم، ونجعله محوراً في جميع أبعاد حياتنا، فيكون محورنا العلمي والعملي، وبذلك يرضى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

إنَّ عدم قراءة القرآن، وتفضيل غير القرآن على القرآن، وعدم جعله محوراً في جميع شؤوننا، بالاضافة إلى عدم التدبر فيه، وعدم تعليمه للآخرين والابتعاد عن العمل به، كلُّ ذلك من مصاديق هجر القرآن، حتى أنَّ من يتعلم القرآن ويدرسه، وينحّيه جانباً، فلا يتعهده ولا ينظر إليه يعدُّ ممن اتخذ القرآن مهجوراً.

هذه الآية تتحدث عن شكوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، غير أنَّه لا يدعو على أمته لأنَّه بعث رحمة للعالمين.

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام، أنّه قال: «**أمر الناس بالقراءة في الصلاة: لئلا يكون القرآن مهجوراً ومضيعاً، وليكون محفوظاً مدروساً فلا يضمحل ولا يُجهل**»[2].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «**يا ابن عباس إذا قرأت القرآن**

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٨٢٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦، ص٢١.

ترتله ترتيلاً، قال: وما الترتيل؟ قال: بينه تبياناً ولا تنثره نثر الرمل، ولا تهذه هذّ الشعر، فقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة»[1].

إقرار بعض العلماء الكبار حول هجر القرآن:

أ: يقول العلامة ملاّ صدرا قدس سره في مقدمة تفسيره سورة الواقعة: «لقد طالعت كتب الحكماء، وتعمقت فيها حتى ظننت أني شيء (أني إنسان)، لكن عندما تبصرت قليلاً وجدت نفسي خالياً من العلوم الحقيقية والواقعية، فخطر في ذهني أن أتدبر في القرآن وروايات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وتيقنت أنَّ عملي كان بلا أساس، لأنّي كنت أقف طوال عمري في الظل بدلاً من الوقوف في النور، لقد شعرت بالغصَّة تملأ قلبي وروحي، وتشعل فؤادي ناراً، حتى أدركتني الرحمة الالهية وأخذت بيدي، وفتحت أمامي أبواب معارف القرآن، فبدأت بتفسير القرآن والتدبر فيه، فطرقت باب منزل الوحي، حتى فتح بابه وانزاح الستار عنه، ورأيت الملائكة تقول لي: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

أما الآن وقد شرعت بكتابة أسرار القرآن، فإنّي أقرّ بأنَّ القرآن بحر عميق لا يمكن سبره إلا باللطف الإلهي والعناية السماوية، لكن ماذا أفعل؟ لقد ضاع العمر، وهزل البدن، وانفطر القلب، ورأسمالي قليل، ووسائل عملي ناقصة، وروحي صغيرة وضعيفة.

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٤، ص ١٥.

ب: يقـول الفيض الكاشانـي قدس سره في رسالة الإنصـاف: «**لقد غرقت لمـدة طويلـة فـي مطالعـة مجـادلات المتكلميـن ومحاوراتهـم، وبذلـت جهـوداً كثيرة في ذلك، غير أنَّ هـذه البحوث كانت وسائل جهلي، ولقد تعمقت لفترة طويلة في تعلم الفلسفة والتبحر فيها، ووجـدت فـي أحاديث الفلاسفة سمواً وعلـواً وتحليقاً في الفضاء، فقضيـت مـدَّة من الزمـن بين حديث لهـذا ومقال لـذاك، وكتبت الكتـب والرسائل، فكنت أجمع بين حديـث الفلاسفة والمتصوفة والمتكلمين واربط فيما بينها، لكني لم اصدق أياً منها، ولم يكن فـي أي من هذه العلـوم دواء علتي، ولم أجد فيها ما يروي ظمأي، فخفت على نفسي، وفررت إلى الله تعالى وأنبت إليه، حتى هداني المولى عزَّ وجلَّ من طريق التعمق بالقرآن والأحاديث الشريفة**».

ج: يقـول الإمام روح الله الموسـوي الخميني قدس سره: «**إنِّي أقول لكم بـكل حـزم ومـن دون مجاملة، إنِّـي أتأسف لعمـري الذي ذهب أدراج الريـاح، أنتـم يا ابنـاء الاسلام الشرفـاء وجهوا الحوزات والجامعات نحـو القرآن ومسائله وأبعاده المختلفة والكثيرة، واجعلوا تدريس القرآن في كلِّ فروعه وعلومه محط أنظاركم، ومحـل هدفكـم الأعلـى ومقصدكـم الأسمـى، ولا تجعلوه في الحاشية، ولا تصلوا إلى حيث تندمون على عملكم أيام الشباب وتأسفـون علـى العمر الضائع، بعدما يكـون قد دب الشيب في رؤوسكـم والضعـف والعجز فـي أبدانكم، فتندمـون في أواخر أعماركم (لا سمح الله) كما ندم كاتب هذه الكلمات**»[1].

(١) صحيفة النور: ج ٢٠، ص ٢٠.

دروس وبصائر:

١- الرسول الأكرم ﷺ واحد من الذين يشكون يوم القيامة: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾.

٢- انتقاد الأشخاص الذين هجروا القرآن علانية: ﴿اتَّخَذُوا..﴾ ولم يقل: كان عندهم مهجوراً.

٣- إنَّ جمع القرآن الكريم وتدوينه قد حصل أيام الرسول الأكرم ﷺ وفي حياته، لذلك تشير الآية الكريمة إلى: ﴿هَذَا الْقُرْآنَ﴾. فالقرآن وقع في مورد الخطاب.

٤- التلاوة الظاهرية ليست كافية، بل يجب رفع الهجر عن القرآن: ﴿مَهْجُورًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾(٣١).

دروس وبصائر:

١- الصراع بين الحق والباطل والتضاد بينهما في مدار الإرادة الإلهية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾.

٢- هناك دائماً لكلِّ منادٍ بالحق وقائل به مخالف وعدو: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾.

٣- مواساة النبي الأكرم ﷺ من خلال النظر إلى مشاكل الآخرين: (الأنبياء) ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾.

٤- الإنسان يغرق بداية في المعاصي ويتلوث بالذنوب، ثمَّ يتحول رويداً رويداً إلى عدو للأنبياء: ﴿عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

٥- الإنسان ينحرف عن مسير الحق وينفصل عنه بالذنوب والمعاصي: ﴿مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ و«جَرَم» في الأصل بمعنى القطع والفصل.

٦- الصِّعاب تصقل الإنسان وتربيه: ﴿جَعَلْنَا ـ بِرَبِّكَ﴾.

٧- الطريق الوحيد للانتصار على الأعداء التمسك بالهداية والنصرة الإلهية: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

٨- يجب أن نتوكل على الله سبحانه في مواجهة المخالفين: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

٩- الله تعالى هو الكافي في الهداية والحماية، فلماذا التعلق بالآخرين؟: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

١٠ -- الأنبياء أيضاً بحاجة إلى هداية الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾.

١١ -الإنسان يحتاج في المواجهة بين الحق والباطل إلى مسألتين: الهداية والقدرة: ﴿هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾. (الهداية لمعرفة الحق والقدرة للانتصار على الباطل).

١٢- الهداية والنصرة من شؤون الربوبية: ﴿بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾(٣٢).

نقاط وتأملات:

المخالفون والمتذرعون يأتون كلَّ لحظة بذريعة، والهدف تبرير عدم

إيمانهم، فمرة يقولون: لولا أنزل علينا الملائكة وتارة يطلبون رؤية الله، ومـرة أخرى يقولون لـو أنَّ للرسول كنز أو جنَّة يـأكل منها، ثمَّ في هذه الآية يأتون بذريعة جديدة: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾!.

دلائل وآثار النزول التدريجي للقرآن:

١- النـزول التدريجـي عامـل لارتبـاط الرسـول الأكـرم ﷺ الدائـم والمستمر بمنبع الوحي، وأصل لثباته بقوَّة في هذا الطريق، وكذلك ليظهر أنَّ الرسالة ليسـت شرارة لفترة محددة في الزمان والمكان بمعنى أنَّها ليست مقطعية.

٢- الدين الحي والجامع هو الدين الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحوادث والمناسبـات، والحوادث والمناسبات بدورهـا تحدث بمرور الزمن وفي مناسبات مختلفة، وبحسب الظروف لا تظهر دفعة واحدة.

٣- إنَّ القيـام بجميـع الأوامر وترك جميع النواهـي دفعة واحدة (فيما لو نزلـت جملة واحدة) يشكل عملاً صعباً وشاقاً على عموم الناس، ويسبب عسراً وحرجاً لهم.

٤- بمـا أنَّ كلَّ سورة وآية في القرآن الكريـم تشكل بحد ذاتها معجزة، لذلـك فإنَّ النزول التدريجـي لها يعدّ بمنزلـة المعجزات المتعددة التي يعقب بعضهـا بعضاً، وبالتالي فهي تسلية لقلب الرسول الأكرم ﷺ ومواساة له في مواجهة أذية أعدائه.

٥- هنـاك تفـاوت كبير بين نـزول كل آية بمناسبة الحاجـة التي تنشأ، ونزول جميع الآيات من دون أخذ الحاجات بعين النظر.

٦- هنـاك آيات هـي عبارة عـن أجوبة في مقابـل أسئلـة الناس، ومن البديهي أن يطرح السؤال أولاً ثمَّ تنزل الآية للاجابة عليه.

٧- بعض الآيات والأحكام نزلت لمدَّة معينة ومحددة، لذلك يجب أن تنزل الآية التي تنسخها فيما بعد، هذا بالاضافة إلى نزول بعض الأحكام التدريجية.

ما هو الترتيل ؟

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس: «**يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلاً. قال: وما الترتيل؟ قال: بينه تبييناً ولا تنثره نثر الدقل ولا تهذه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه وحرِّكوا به القلوب ولا يكونَنَّ همَّ أحدكم آخر السورة**»[١].

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الترتيل؟ فقال: «**حفظ الوقوف وأداء الحروف**»[٢].

روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «**هو أن تتمكّث فيه وتحسن به صوتك**[٣]، **ثمَّ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : «بيِّنه تبياناً، ولا تهذه هذّ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن اقرع به القلوب القاسية، ولا يكونن همَّ أحدكم آخر السورة**»[٤].

دروس وبصائر:

١- القائد يجب أن يمتلك قلباً مطمئناً وثابتاً وقوياً: ﴿**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾.

٢- نتيجة التربية النبوية اطمئنان القلب: ﴿**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾.

٣- التعليم والتربية تدريجي: ﴿**وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾.

---

(١) مجمع البيان: ج ٧ – ٨، ص ٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٣٢٣.

(٣) مستدرك سفينة البحار: ص ٤٦٣.

(٤) بحار الأنوار: ج٨٩، ص٢١٦.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٣٣).

نقاط وتأملات:

في هذه الآية خطاب للرسول الأكرم ﷺ، فالمولى تعالى يقول له: كلام المخالفين إما أنَّه باطل فنحن في مقابل ذلك قد جئناك بالحق، أو حق فقد جئناك بكلام حق أظهر وأحسن من كلامهم.

دروس وبصائر:

١- القرآن كتاب جامع يجيب على جميع التساؤلات والإشكالات والشبهات: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ..﴾

٢- الأنبياء في مواجهة دائمة مع المخالفين، ومنهجهم مع هؤلاء هو المنطق والاستدلال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ...﴾

٣- المولى عزَّ وجلَّ يدافع عن الأنبياء، ويطرح كلام الحق في مقابل كلام الكفار الباطل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ ولم يقل: (جئت).

٤- الحق ينتصر على الباطل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ... إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

٥- يجب أن يكون الكلام منطقياً وحقاً: ﴿جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾.

٦- هدف الأنبياء نشر الحق واستقراره وثباته: ﴿جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾.

٧- حديث النبي ﷺ وعلمه من جانب الله سبحانه: ﴿جِئْنَاكَ﴾.

٨- يجب أن نقابل حديث الآخرين واعتراضاتهم بكلام أفضل: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

٩- كلام المخالفين واستدلالهم ضعيف يتزلزل بسرعة، لأنَّه يفقد

رونقـه وينهار أمام كلام الحق والتفسير الأحسن: ﴿بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٣٤).

دروس وبصائر:

١- تحقيـر الأنبياء في الدنيا سبب لتحقيـر المخالفين يوم القيامة: ﴿يُحْشَـرُونَ عَلَـى وُجُوهِهِـمْ﴾.

٢- أكثر الناس ضلالاً هم الذين يختلقون الاشكالات ويضعون الشبهات في وجه الأنبياء: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾(٣٦).

نقاط وتأملات:

كلمة «**تدمير**» من «**الدمار**» ومعناه الهلاك بأمر فيه أعجوبة.

أساليـب التبليـغ والتربية في القـرآن الكريم مختلفـة، ففي موضع يقول:

«**اذهبـا إلـى القـوم المنحرفيـن المكذبين**» وفي مـكان آخر يقول: «**يجـب أن يحضـروا ويتحطـم غرورهـم، كما حصل فـي قضية النبي سليمـان عليه السلام مع قوم سبأ وملكتهـم، حيث يعبر المولى تعالى على لسان سليمان: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾**.

دروس وبصائر:

١- فـي مسألة التبليغ يتوجب أحياناً إرسال أشخاص عدة للتبليغ معاً: ﴿اذْهَبَـا﴾.

٢- إتمام الحجة على الضَّالِّين لازمة: ﴿اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾.

٣- الانكار والعناد لا يعني منـع اللطف الإلهي.فالله سبحانه يرسل إلى القوم المعاندين نبياً لهدايتهم: ﴿اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾.

٤- تكذيب الأنبياء يعني تكذيب المولى تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

٥- نقـل سيـرة الكفـار الماضيـن وتاريخهم وبيـان هلاكهـم وتدمير ممالكهـم وقراهـم، يعد أرضيـة صالحة للتحذير ونهـي الكفار عن المكر في زمن الرسول وفي كل زمن: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٣٧).

دروس وبصائر:

١- إنَّ تكذيـب نبي واحد يعد بمثابـة تكذيب جميع الرسل: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُـوا الرُّسُلَ﴾. لأنَّ جميـع الأنبياء إنَّما جـاؤوا لهدف واحد، هداية الناس إلى الإله الواحد.

٢- التاريخ درس وعبرة: ﴿جَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾.

٣- إنّ مصير الناس بأيديهم: ﴿كَذَّبُوا... أَغْرَقْنَاهُمْ﴾.

٤- تكذيب الأنبياء ظلم: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾.

٥- تكذيب الأنبياء يتبعه عذاب في الدنيا: ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ وعذاب يوم القيامة: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾(٣٩).

نقاط وتأملات:

«**القرون**» جمع «**قرن**» في الأصل تعني جماعة من الناس تعيش مع بعضها في زمان واحد ومعين، ويطلق القرن على الفترة الزمانية ما بين ٤٠ إلى ١٠٠ سنة.

و«**التتبير**» تعني التدمير، وكل شيء كسرته وفتتته فقد تبرته.

من هم أصحاب الرسّ:

جاء في التفاسير حول أهل الرس أخبار كثيرة: منها أنَّهم قوم شعيب النبي عليه السلام. وكذلك أن «**الرس**» مدينة في «**اليمامة**»، أو أنَّها بئر في «**انطاكية**»، وفي بعض الروايات أن الرس هو «**نهر الرس**» وغير ذلك من الأخبار.

عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: أتى علي بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيام رجل من أشراف تميم يقال له: عمرو فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس في أي عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله عزَّ وجلَّ إليهم رسولاً أم لا؟

وبماذا هلكوا؟ فإنِّي أجد في كتاب الله تعالى ذكرهم ولا أجد غيرهم. فقال له علي عليه السلام: لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدي إلا عني، وما في كتاب الله عزَّ وجلَّ آية إلا وأنا أعرفها وأعرف تفسيرها، وفي أيِّ مكان نزلت من سهل أو جبل؟ وفي أي وقت من ليل أو نهار؟ وإن هيهنا لعلماً جماً ـ وأشار إلى صدره ـ ولكن طلابه يسير، وعن قليل يندمون لو فقدوني. كان من قصتهم يا أخا تميم: أنَّهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبرة يقال لها: شاه درخت، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها: دوشاب، كانت انبتت لنوح عليه السلام بعد الطوفان، وإنَّما سمُّوا أصحاب الرَّس، لأنَّهم رسوا بينهم في الأرض، وذلك بعد سليمان بن داوود عليه السلام، وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطىء نهر يقال لها: رس، من بلاد المشرق، وبهم سمي ذلك النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه، ولا أعذب منه، ولا قرى أكثر ولا أعمر منها تسمى احداهن: أبان، والثانية: آذر، والثالثة: دى، والرابعة: بهمن، والخامسة: اسفندار، والسادسة: فروردين، والسابعة: اردي بهشت، والثامنة: خرداد، والعاشرة: تير، والحادية عشر: مهر، والثانية عشر: شهريور. وكانت أعظم مدائنهم اسفندار، وهي التي ينزلها ملكهم، وكان يسمى تركوذ بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان، فرعون إبراهيم عليه السلام، وبها العين والصنوبرة، وقد غرسوا في كلِّ قرية منها حبَّة من طلع تلك الصنوبرة، فنبتت الحبَّة، وصارت شجرة عظيمة، وحرموا ماء العين والأنهار، فلا يشربون منها ولا انعامهم، ومن فعل ذلك قتلوهم، ويقولون: هو حياة آلهتنا، فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها،

ويشربونهم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم. وقد جعلوا في كلِّ شهر من السَّنة في كلِّ قرية عيد يجمع إليه أهلها، فيضربون على الشجرة التي بها كلة[1] من يريد فيها من أنواع الصور، ثمَّ يأتون بشاة وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة، ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء، وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خرُّوا للشجرة سجداً ويبكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم، فكان الشيطان يجيء فيحرِّك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبي، ويقول: قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفساً وقروا عينا، فيرفعون رؤوسهم عند ذلك، ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف ويأخذون الدست بند، فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم، ثمَّ ينصرفون. وإنَّما سميت العجم شهورها بآبانماه وآذرماه وغيرهما، اشتقاقاً من أسماء تلك القرى، لقول أهلها بعضهم لبعض: هذا عيد شهر كذا، وعيد شهر كذا، حتى إذا كان عيد شهر قريتهم العظمى، اجتمع إليه صغيرهم وكبيرهم، فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور، له اثنا عشر باباً، كلَّ باب لأهل قرية منهم، ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق ويقربون له الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم، فيجيء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً، ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً، ويعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم، ومنتهم الشياطين كلها، فيرفعون

---

(١) الكلة بالكسر: الستر الرقيق، غشاء رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض ويعرف (بالناموسية) ويقال بالفارسية (پشه بند) وفي العرائس: يضربون على تلك الشجرة مظلة من حرير فيها أصناف الصور.

رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلمون من الشرب والعزف، فيكونون على ذلك اثني عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة، ثمَّ ينصرفون. فلمَّا طال كفرهم بالله عزَّ وجلَّ وعبادتهم غيره، بعث الله عزَّ وجلَّ إليهم نبياً من بني إسرائيل من ولد يهود بن يعقوب، فلبث فيهم زماناً طويلاً، يدعوهم إلى عبادة الله عزَّ وجلَّ ومعرفة ربوبيته، فلا يتبعونه، فلمَّا رأى شدَّة تماديهم في الغي والضلال، وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والنجاح، وحضر عيد قريتهم العظمى، قال: يا رب إنَّ عبادك أبوا إلا تكذيبي والكفر بك، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر، فأيبس شجرهم أجمع، وأرهم قدرتك وسلطانك فأصبح القوم وقد يبس شجرهم، فهالهم ذلك وقطع بهم، وصاروا فرقتين، فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الذي يزعم أنَّه رسول ربّ السماء والأرض إليكم، ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه، وفرقة قالت: لا بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيهم ويدعوكم إلى عبادة غيرها، فحجبت حسنها وبهائها لكي تغضبوا لها فتنتصرون منه، فاجمع رأيهم على قتله، فاتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الأفواه، ثمَّ أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء، ثمَّ حفروا في قرارها بئراً ضيقة المدخل عميقة، وأرسلوا فيها نبيهم وألقموا فاهه صخرة عظيمة، ثمّ أخرجوا الأنابيب من الماء، وقالوا: نرجو الآن أن ترضى عنَّا آلهتنا، إذ رأت أنا قد قتلنا ما كان يقع فيها، ويصد عن عبادتها، ودفناه تحت كبيرها يتشفى منه، فيعود لنا نورها ونضارتها كما كانت. فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم عليه السلام،

وهـو يقول: سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلـة حيلتـي، وعجّل بقبض روحـي، ولا تؤخر إجابـة دعوتي، حتى مات عليه السلام، فقـال الله عزَّ وجلَّ لجبرائيل عليه السلام: يا جبرائيل انظر عبادي هـؤلاء الذي غرّهـم حلمي وأمنوا مكري، وعبدوا غيـري وقتلوا رسولي، أن يقومـوا لغضبـي أو يخرجوا مـن سلطاني كيف؟! وأنـا المنتقم ممن عصانـي ولم يخشَ عقابي وإنِّي حلفـت بعزتي لأجعلنهم عبـرة ونكالاً للعالميـن، فلم يرعهم وهم فـي عيدهم ذلك إلا بريـح عاصف شديدة الحمـرة، فتحيـروا فيهـا وذُعروا منهـا وانضم بعضهم إلـى بعض، ثمَّ صارت الأرض من تحتهم كحجر كبريت يتوقد وأظلَّتهم سحابة سوداء، فألقـت عليهم كالقبة جمرا تلتهـب، فذابت أبدانهم في النار كما يذوب الرصاص في النار. فنعوذ بالله تعالى ذكره من غضبه ونزول نقمته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

وقـد ورد ذكرهم في نهج البلاغة، حيـث يقول الأمير عليه السلام: «**أين أصحاب مدائن الرّس الذين قتلوا الأنبياء**».

دروس وبصائر:

١- لقـد أتـمَّ الله تعالـى حجتـه علـى جميـع الأمـم: ﴿**وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ**﴾.

٢- من السنـن الإلهية نزول العـذاب والغضب على الكفـار والمكذبين بعـد إتمام الحجة بإرسال الرسل وبنزول الآيات: ﴿**كَذَّبُوا الرُّسُلَ... وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا**﴾.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص١٨٣، ح١.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾(٤٠).

نقاط وتأملات:

المقصود من القرية التي امطرت مطر السوء قرية قوم لوط، والتي أمطرت بالحجارة، واسم تلك المنطقة كان «سدوم».

عن الإمام الباقر عليه السلام: «**وأمَّا القرية التي أمطرت مطر السوء فهي سدوم قرية قوم لوط أمطر الله عليهم حجارة من سجيل... أفلم يكونوا يرونها في (أثناء) مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم**»[١].

دروس وبصائر:

١- الآثار الباقية يمكن أن تكون وسيلة لأخذ العبرة: ﴿**أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا**﴾. نعم، إنَّ نقل التاريخ وبيان قصص الأقوام الضَّالة الغابرة يعد أرضية جيدة للتبليغ والنهي عن المنكر.

وإنَّ من لا يتعلم من الماضي ولا يعتبر من الدهر فلن يتعلم ولن يعتبر من أي معلم[٢].

٢- إنَّ التمرد والعصيان في مقابل أوامر المولى، والتكبر والغرور في مقابل الحق، والاستمرار على الكفر، كلُّ ذلك مانع من تلقي الحق

---

(١) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ج ٤، ص ١٦.

(٢) ترجمة لبيت شعر فارسي.

وقبوله: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾.

٣- الذين في قلوبهم نور الأمل ويؤمنون بيوم القيامة، يعتبرون بالحوادث الماضية ويستفيدون من عبرها: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولا﴾(٤١).

دروس وبصائر:

١- المعاند والمغرور لا يقبل الحق: ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾.

٢- اتخاذ الأنبياء هزواً وتحقيرهم أسلوب الكفار على مرِّ التاريخ: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ... أَهَذَا الَّذِي﴾.

٣- إنَّ الكفار بتشكيكهم بالأنبياء وإخضاعهم للمسألة، إنَّما يشككون بالرسالة ويجعلونها موضع التساؤل: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ﴾.

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾(٤٢).

دروس وبصائر:

١- الإنسان أحياناً يفكر بصورة منحرفة وغير صحيحة بحيث يحسب الهداية ضلالاً: ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾.

٢- من لا يقبل إلهاً قادراً، يقبل بالأصنام التي لا تقدر على شيء على أنَّها آلهة: ﴿آلِهَتِنَا﴾.

٣- الصبر ليس قيماً في كلِّ الأحوال، كالصبر عند مواضع الضلال والانحراف: ﴿صَبَرْنَا﴾.

٤- الإسلام يجذب الإنسان غير المعاند واللجوج، والمعاند يبقى محروماً: ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا﴾(٤٣).

نقاط وتأملات:

كل معبود غير الله تعالى يطلق عليه تعبير: (الهوى).

اتباع الهوى على ضوء القرآن والأحاديث:

أ- اتباع الهوى منبع الغفلة: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[١].

ب- إتباع الهوى منبع الكفر: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾[٢].

ج- إتباع الهوى أسوأ انحراف: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾[٣].

د- إتباع الهوى يمنع الحكم بالعدل: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾[٤].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.

هـ - إتباع الهوى منبع الفساد: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾[1].

و - اتباع الهوى منبع الحسرة والغم والمحن.

ز - متبع الهوى ليس له إيمان.

ح - متبع الهوى ليس لديه عقل.

ط - بداية الفتنة اتباع الهوى وإيجاد البدع، فالهوى مطية الفتنة.

ي - هوى الإنسان وهوسه يعميه ويصمه، ويسلب منه القدرة على تشخيص الحق من الباطل.

ق - اشجع الناس من غلب هواه.

ل - إنما سمي الهوى لأنَّه يهوي بصاحبه[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**الهوى قرين مهلك**»[3].

دروس وبصائر:

١- أساس عبادة الأصنام اتباع الهوى: ﴿صَبَرْنَا عَلَيْهَا - اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾.

٢- البحث عن الخالق والإله موجود في فطرة كلِّ إنسان، لكن الإنسان يخطىء ويضل في مصداق الحق وإيجاده: ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾.

٣- الأنبياء ليسوا مسؤولين عن هداية الذين يتبعون الهوى بالإكراه والإجبار: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وآله ميزان الحكمة: ج ٤، ص ٣٤٧٦.

(٣) نفس المصدر: ج ٤، ص ٣٤٧٦.

٤- الإنسان يملك الاختيار: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا﴾.

٥- الإيمان والتربية يجب أن يكونا من دون إكراه ولا إجبار: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا﴾.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾(٤٤).

نقاط وتأملات:

عندما ينتقد القرآن الكريم الكفار، فإنَّه يستخدم كلمة «**أكثر**»، لكي يخرج المجموعة المؤمنة من حساب هؤلاء.

سؤال: لماذا الإنسان المنحرف أضل من الأنعام وأسوأ منها!؟

الجواب:

١- الحيوان لا يستطيع أن يرتقي أكثر مما هو موجود، أمَّا الإنسان يستطيع ذلك؛ فإمكانيات الرشد والارتقاء ميسرة له بشكل كامل.

٢- الحيوان لا يملك عقلاً يؤهله لمعرفة الحق من الباطل، أو ليميز الجيد من السيء، فالإنسان المنحرف لم يعمل عقله بشكل سليم، بل وضعه أسفل قدميه وعمل على أساس الهوى والهوس.

٣- الحيوان يتبع غريزة ثابتة، غير أنَّ الإنسان المنحرف يتبع مئات الأهواء.

٤- الإنسان المنحرف يضل نفسه ثمَّ يبرر انحرافه وضلاله.

٥- الحيوان يصبح أليفاً مع من يعامله بلطف ويظهر له المحبَّة، لكن الإنسان المنحرف يظهر الكفر والعناد والكفران بالنعم في مقابل خالقه الرحمن الرحيم.

٦- الحيوانات تعلم تسبيحها فتسبح خالقها: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[١] أما الإنسان المنحرف فهو ليس من أهل الذكر والتسبيح بل يكون غافلاً عن الله تعالى.

٧- الحيوان لا يستحق العذاب الإلهي، لكن الإنسان سوف يحاسب ويعاقب.

ابن آدم طينة عجنت من الملائكة ومن الحيوان، إن سار نحو الملائكة كان أفضل منها، وإن مال نحو الحيوان أصبح أسفل منه[٢].

دروس وبصائر:

١- يجب على الإنسان أن يستمع إلى ارشادات الرسول الباطني (العقل) والرسول الخارجي (النبي) وذلك في سبيل هدايته: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾.

٢- الكفر وعدم الاستماع إلى دعوة الأنبياء وعدم قبولها، يعد من انعدام العقل: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾.

٣- الإنسان هو خليفة الله على الأرض، فإذا أغمض عينيه عن الفطرة الالهية وأهملها يصبح أضل من الحيوان: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

---

(١) سورة النور، الآية: ٤١.

(٢) ترجمة لشعر فارسي.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا(٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾(٤٦).

دروس وبصائر:

١- أفضل طريق لمعرفة الله تعالى التفكر في ظواهر الوجود التي خلقت على أساس الحكمة الإلهية: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢- إنَّ دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ليس صدفة، بل يصدر هذا الفعل عن حكمة وتدبير: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.

٣- الإنسان مغمور بالنعم والعطايا، لكنَّه لا ينظر إليها بعين العبرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.

٤- إنَّ مدَّ الظل وجعله متحركاً ثمَّ قبضه إنَّما لأجل النمو والرشد: ﴿رَبِّكَ.. مَدَّ الظِّلَّ﴾، فلو كان الضوء مسلطاً بشكل مستقيم ومباشر أو كان الظل دائماً وثابتاً، لأحرقت الكائنات جميعها، أولتجمدت.

٥- صحيح أنَّ الله تعالى عنده القدرة على أن يوجد تحولاً وتغيراً شديداً في الطبيعة، لكنَّه لا يترك سنته التي وضعها فيها: ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾.

٦- إنَّ استمرار الحركة في الطبيعة ودورانها المنظم بيده تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾.

٧- إنَّ أخذ أيّ شيء وقبضه يسير على الله سبحانه: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾(٤٧).

نقاط وتأملات:

القرآن الكريم قد أطلق كلمة «**لباس**» على عدة أشياء:

أ- الليل: ﴿**جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا**﴾.

ب- الزوج: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾.

ج- التقوى: ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾.

(السبات) قطع الأعمال وتعطيلها راحة للأبدان بعد التعب، و«**النشور**» انتشار الناس فيه لطلب الحوائج والمعاش والعمل. فيكون النشور بمعنى التفرق لابتغاء الرزق[1].

دروس وبصائر:

١- إنَّ تعاقب الليل والنهار ليس صدفة، بل فيه أهداف تدل على أنَّ وراء ذلك صانع حكيم، قد أخفى في هذا الدوران والتعاقب ما فيه مصلحة البشر من تنظيم للحياة: ﴿**جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا**﴾.

٢- ظاهرة الليل نعمة إلهية للبشر: ﴿**لَكُمُ**﴾.

٣- النوم والقيام يجعلنا منتظمين مع الطبيعة منسجمين معها: ﴿**اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا**﴾، فالظلام والسكون يؤثر في إيجاد السكينة والهدوء، كذلك النور يؤثر في العمل وإيجاد النشاط والحركة عند الإنسان.

---

(١) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٢٧، ص ٢٧٠.

٤- الليل يساعد على حفظ الجسم وسلامته، كما يحفظ اللباس البدن: ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾.

٥- تعاقب الليل والنهار والسكون في الليل والنشور والسعي في النهار علامة من علامات الربوبية: ﴿رَبُّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ... وَهُوَ الَّذِي...﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾(٤٩).

نقاط وتأملات:

«**الطهور**» يطلق على الشيء الذي يكون في غاية الطهارة وهو في نفس الوقت مطهر.

كلمة «**البلد**» تعني الأرض، سواء كانت مدينة أو بلدة أو مزرعة، بدليل الآية ٥٨ من سورة الأعراف: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾.

كلمة «**أناسي**» جمع «**أنسي**» وتعني الإنسان وهي مرادف لها.

أمَّا فيما يتعلق بالاستفادة من المياه، فإنَّ أكثر ما تذهب المياه إلى ري المزروعات، ثمَّ بعد ذلك إلى الحيوانات، ثمَّ الإنسان، لذلك نجد الآية الشريفة ابتدأت بإحياء الأرض، ثمَّ سقاية الأنعام، ثمَّ الإنسان، كذلك فإنَّ للرياح فوائد جمَّة منها: تلطيف الهواء، وتحريك الغيوم ودفعها، وتخفيض الحرارة بالإضافة إلى تلقيح النباتات.

دروس وبصائر:

١- حركة الرياح تكون بإرادة المولى تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾.

٢- للرياح أنواع مختلفة، وأحياناً تتـلازم مع المطر: ﴿أَرْسَلَ الرِّيَاحَ... وَأَنزَلْنَا..﴾

٣- نزول المطر من السحاب بإذن الله تعالى وإرادته: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾.

٤- الماء طاهـر ومطهر للأشياء وللإنسان، وكذلك يطهر روح الإنسان عند الوضوء والغسل: ﴿طَهُورًا﴾.

٥- الأعمـال الالهية ودورة الحياة تسير في سياق الأسباب الطبيعية: ﴿أَرْسَلَ الرِّيَاحَ - وَأَنزَلْنَا - لِنُحْيِيَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾(٥٠).

دروس وبصائر:

١- القـرآن كتاب هداية، والتذكير والتكرار لازمة الهداية: ﴿صَرَّفْنَاهُ... لِيَذَّكَّرُوا﴾.

٢- تذكُّـر النعمة شكـر للنعـم، والغفلـة عنهـا كفـران: ﴿لِيَذَّكَّرُوا.... كُفُورًا﴾.

٣- أكثـر النـاس لا يشكـرون، والشاكرون قلّـة: ﴿فَأَبَى أَكْثَـرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾(٥١).

نقاط وتأملات:

هذه الآية تبين على نحو ما خاتمة نبي الاسلام محمد ﷺ وجامعية

رسالتـه السماوية فالآية الشريفة تقول: لو شئنا لأرسلنا إلى جانبك في كلِّ قريـة رسـولاً، لكن لم نبعث فـي أيِّ مكان رسـولا، لأنَّ في شخصك ورسالتـك القدرة الكافية لإدارة كلّ مجتمع هذا الوجود، ولا حاجة لنبي آخر؛ فأنت أيُّها الرسول تملك مقاماً ووجوداً تختم به ملف النبوة.

دروس وبصائر:

١- رسالـة النبـي الأكـرم ﷺ عالميـة، والمدرسة الإسلاميـة مدرسة خالدة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾.

٢ - انذار الناس وتحذيرهم محور بعثة الأنبياء: ﴿نَذِيرًا﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾(٥٢).

نقاط وتأملات:

كيفية التعامل مع الكفار:

أ- عدم الخضوع والطاعة لهم: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾.

ب- مواجهة الكفار ومبارزتهم: ﴿وَجَاهِدْهُمْ﴾.

مجاهدة الكفار:

أ- الجهاد العلمـي بالمنطق والإجابة علـى الشبهات التي يطرحها الأعداء.

ب - الجهاد بالسيف.

دروس وبصائر:

١- مركزية القيـادة والنبوة تمكّنك من الاستقـلال والمقاومة والثبات فـي مقابل الكفـار: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا، فَلَا تُطِعِ﴾،

بمعنى أنَّ القيادة الآن متمركزة في وجود نبي واحد، فأنت الآن تملك القوة والثبات، فلا تطع الكافرين ولا تخضع لهم.

٢- لا يكفي عدم اتباع الكفَّار، بل يجب المجاهدة، وليس أيِّ جهاد، إنَّما جهاد كبير وعلى جميع الأصعدة: ﴿**فَلَا تُطِعِ... وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾.

٣- المواجهة السلبية أسلوب من أساليب المواجهة: (فمع عدم الطاعة، جاهدهم أيضاً): ﴿**فَلَا تُطِعِ... وَجَاهِدْهُم**﴾.

٤- القرآن من أفضل وسائل الجهاد العلمي والثقافي، ومن أقوى وسائل البحث والمحاجّة ضد الأعداء والكفار: ﴿**وَجَاهِدْهُم بِهِ**﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾(٥٤).

نقاط وتأملات:

كلمة «نسب» تعني الرابط الذي يتأتى عن طريق الولد، كرابطة الأب والولد والإخوة مع بعضهم، فالنسب ما كان من نسب الرجال، والصهر ما كان بسبب نسب النساء.

دروس وبصائر:

١- إرادة الله تعالى قادرة أن تجعل المائعات التي تجري إلى جانب بعضها لا تختلط.

٢- الإنسان موجود له شأن وعظمة: «بشراً» التنوين يفيد العظمة.

٣- الحياة البشرية فيما يتعلق بالروابط والعلاقات مبنية على أساس الأنساب والمصاهرة: ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾.

٤- في الآية الشريفة ذكر الرابط النسبي قبل الرابط بالمصاهرة، وتقديمه دلالة على الأولوية في الروابط: ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾(٥٥).

نقاط وتأملات:

الذين يظاهرون على الله، أي يعينون الشيطان على ربّهم بعبادة الأصنام والأوثان، ويجعلون عبادة الله تعالى خلف ظهورهم، فيستهينون بها استخفافاً، يتخذون الأصنام (من الجمادات) معبوداً لهم، وهذه الأصنام هي في أسفل درجة من سلّم الموجودات، لأنَّ الجمادات تأتي في أسفل الموجودات، ثمَّ يليها النباتات، ثمَّ الحيوانات، ثمَّ يأتي بعد ذلك الإنسان، فهو أعلى مرتبة منها جميعاً.

دروس وبصائر:

١- العمل القيِّم هو الذي يأتي بمنفعة أو يدفع ضرراً، أما عبادة الأصنام فليس فيها نفع ولا ضرر: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.

٢- المشركون كافرون ويظاهرون بعضهم بعضاً على الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(٥٦).

نقاط وتأملات:

فـي هذه الآية القصيرة إشارة إلى التوحيـد: (ارسلنا) وإشارة إلى النبوة (ك) وإشارة أيضاً إلى المعاد: ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

لكل مسؤول مهمة ووظيفة، ومن مهمات الأنبياء ووظائفهم: البشارة والإنذار.

دروس وبصائر:

١- واجب الأنبيـاء القيام بتكليفهم، أما النتائج فـلا يضمنونها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٢- فـي عملية التربية والتبليـغ يكون التبشير والإنـذار فعَّالاً إلى جانب بعضه البعض: ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٣- الأنبياء ليس لهم حـق السيطرة على الناس وإجبارهم على الهداية واتباع الحق: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٤- رشـد البشـر يكمـن فـي تربيتهم فـي ظـل «الخوف والرجاء»، لأنَّ الأنبيـاء بعثـوا من أجل رشـد الإنسان وتكاملـه: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيـرًا﴾.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾(٥٧).

نقاط وتأملات:

فـي القرآن الكريم تعابير مختلفة تتحـدث عن أجر الرسول الأكرم

وجزائه في مقابل الصعاب والمشاق التي تحمَّلها، وقد وردت هذه الآيات في دعاء الندبة على الشكل التالي:

أجري على المولى تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ﴾[1].

جزائي محبة أهل بيتي: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2].

جزائي استقامتكم على النهج الإلهي: ﴿يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾[3].

إنَّ السير على الخط الإلهي والاستقامة فيه غير متيسر إلا عن طريق مودة أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم وطاعتهم، لذلك نقرأ في دعاء الندبة: (فكانوا هم السبيل إليك).

الجزاء إنَّما يعود بالنفع على أنفسكم: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[4]، لأنَّ مودة القادة المعصومين ومحبتهم هو المفتاح والرمز للاستقامة على النهج الإلهي، واختيار هذا الطريق إنَّما يعود أولاً وأخيراً بالنفع على أنفسهم، وليس هناك أيّ نفع مادي يعود إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

دروس وبصائر:

١- الإنسان حر في اختيار العقيدة: ﴿مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ﴾.

٢- أجر الأنبياء هو أن يختار الناس طريقاً يوصلهم إلى الله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٧.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾(٥٨).

نقاط وتأملات:

لقد تكررت كلمة «**توكل**» ومشتقاتها في القرآن سبعين مرة، والتوكل يعني تفويض الأمر إلى المولى عزَّ وجلَّ والاعتماد عليه.

في الآية السابقة خاطب المولى سبحانه رسوله، قل يا محمد للنَّاس: أنا لا أريد منكم جزاء ولا أجراً، إنَّما أجري وجزائي أن تتبعوا طريق الهدى وتتخذوا إلى ربكم سبيلاً، وكأن هذه الآية تريد القول أنَّ الأنبياء والقادة الدينيين لا ينظرون إلى أموال الناس وثرواتهم بعين الطلب والرغبة والطمع، إنَّما يتوكلون على الله سبحانه فقط في معاشهم وأرزاقهم وأحوالهم، غير أنَّ التوكل على الله عزَّ وجلَّ ليس بمعنى ترك العمل والجهد. يقول مولوي الشاعر الإيراني المعروف:

صدح الرسول بصوت جهور ... اعقل يا إنسان ثم توكل
اسمع كلام حبيب الله ... ولا تجعل التوكل سبباً للكسل
اسعَ يا عبد الله وتكسب ... واقصد التوكل في العمل[1].

دروس وبصائر:

١- يجب أن نتوكل على الخالق الحي الباقي لأنَّه لا بقاء لغيره: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ**﴾.

٢- يجب التوكل على خالق السموات والأرض، لأنَّه لا خالق ولا مدبر

(١) ترجمة أبيات شعرية للشاعر مولوي.

غيره: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ... الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾.

٣- يجب التوكل على الخبير القدير العالم، لأنَّه لا خبير ولا عالم غيره: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي ... خَبِيرًا﴾.

٤- الأنبياء أيضاً يحتاجون إلى التذكر الإلهي: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾.

٥- الحياة الأبدية الأزلية تختص بالمولى تعالى فقط: ﴿الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

٦- إجعل المولى عزَّ وجلَّ وكيلك لأنَّه هو الحي الدائم، فلئن أمهل الكفار بعضاً من الوقت، فهذا يعني منحهم الفرصة لكي يعودوا عن غيهم وكفرهم، لأنَّه سبحانه لديه الفرصة الكاملة والوقت الذي لا ينتهي لكي ينتقم منهم، وإنَّما يعجِّل من يخاف الفوت: ﴿لَا يَمُوتُ﴾.

٧- التوكل القلبي يجب أن يترافق مع التسبيح والتحميد العملي: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾.

٨- المذنبون والعاصون هم أيضاً عباد الله سبحانه: ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾.

٩- إنَّ إحاطة المولى عزَّ شأنه بذنوب عباده، بالإضافة إلى كونه تهديداً للكفار، هو نوع من تسلية لقلب الرسول ومواساته ومنحه الطمأنينة بأن لا يقلق، لأنَّ الله خبير عالم بعمل هؤلاء الكفار محيط بكلِّ ما يفعلونه، وهو قادر على حسابهم ومعاقبتهم في أيِّ وقت يشاء: ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾.

١٠ - إنَّ الله سبحانه هو الغني المطلق ولا يحتاج إلى سواه، لكن لطفه ورحمته الواسعة لا حدود لها بحيث يطلب من عبده أن يجعله وكيله: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾.

جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: إنَّ المولى سبحانه أعطانا بفضله كلَّ شيء، ولعظيم لطفه ورأفته بنا طلب منَّا أن نقرضه: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1].

١١ -علم الله سبحانه بذنوب البشر دائم، فكلمة «خبير» تدل على الدوام.

١٢- المحكمة الدنيوية بحاجة إلى شاهد لإثبات الجرم، لكن المحكمة الإلهية ليست بحاجة إلى شهود وكفى بربك شاهداً: ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾.

١٣- قائد المجتمع ومرشده الديني يجب أن يتوكل على الباقي: ﴿لَا يَمُوتُ﴾، والأقدر: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ والأعلم: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾(٥٩).

نقاط وتأملات:

كلمة العرش في الثقافة الإسلامية ترمز إلى مركز الحكم والقيادة وتدبير الخلق، والمراد من: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو السلطة الإلهية والتدبر بدليل الآية (٣) من سورة يونس حيث يقول تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

الرحمة الالهية أوسع وأشمل من كلِّ شيء:

١- نظـام خلق العالـم وتكوينه على أساس الرحمـة: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... الرَّحْمَنُ﴾.

٢- نظام خلق الإنسان على أساس الرحمة: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١].

٣- نظام التشريـع ووضع القوانين على أساس الرحمة: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[٢].

٤- نظـام القيامة والحساب علـى أساس الرحمة: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾[٣].

دروس وبصائر:

١- خلق الوجود حدث بالتدرج: ﴿خَلَقَ... فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

٢- الله تعالى خلق العالم وله السلطة الكاملة والحاكمية الشاملة عليه: ﴿خَلَقَ... ثُمَّ اسْتَوَى﴾.

٣- تدبيـر الوجود يقوم على أساس الرحمة الإلهيـة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾.

٤- الطلب والسؤال إنَّما يكون من أهل الرحمة: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ﴾.

٥- السؤال ليس عيباً، الجهل هو العيب: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾.

٦- مراجعة أهل العلم والاختصاص في المعارف الإلهية: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾.

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٩.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١-٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾(٦٠).

نقاط وتأملات:

كلمة «**الرحمن**» رمز الرحمة الدائمة التي لا تنتهي وهي من الأسماء المختصة بالمولى سبحانه وتعالى.

دروس وبصائر:

١- السجدة مظهر عبادة الواحد الأحد وروح الأديان التوحيدية ﴿**اسْجُدُوا**﴾ فالحديث هنا فقط عن السجدة من بين جميع التكاليف.

٢- في مسألة الأمر بالمعروف، يجب الإشارة إلى دليل أمره تعالى «**بالسجود**»: ﴿**اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ**﴾ ودليل سجودكم رحمة الله الواسعة.

٣- الكفر والعناد ليس فقط يصد الكفار عن دعوة الأنبياء ويجعلها غير فعَّالة فيما يتعلق بإيمانهم، بل إنَّ نفور أكثر الكفار من كلام الحق: ﴿**وَزَادَهُمْ نُفُورًا**﴾.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾(٦١).

نقاط وتأملات:

عن الامام ابي جعفر عليه السلام: أنَّ البروج هي الكواكب[١]. والسراج تعني الشمس لأنَّ نور السراج ينبع من ذاته، وهو منبع وعين للنور،

(١) راجع تفسير نور الثقلين: ٣٨، ص ٢٥.

فالمولى تعالى جعل الشمس منبعاً فواراً للنور، في الوقت الذي جعل للقمر صفة الاكتساب، فهو يكتسب نوره من الشمس، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[1].

دروس وبصائر:

١- إنَّ خلق الكواكب والنجوم والشمس والقمر، كلُّ ذلك مظهر للبركات الإلهية: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي...﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾(٦٢).

كلمة ﴿خِلْفَةً﴾ أي ياتي بعضه خلف بعض[2].

في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**كل ما فاتك بالليل فاقضه بالنهار، ثمَّ قرأ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾**»[3].

إنَّ استلهام درس التوحيد من النظام الحاكم على الوجود يتعلق بارداتنا، فما أكثر الأشخاص الذين يقضون عمراً طويلاً بالتحقيق حول ظاهرة ما، غير أنَّهم لا يأخذون منها الدرس والعبرة، لأنَّهم لا يملكون إرادة أخذ العبرة. هؤلاء الأفراد كمن يبقى في محل بيع المرايا ينظر إلى المرآة ولا يرتب ثيابه، في حين أنّ شخصاً قد يعبر أمام محل بيع

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٦.

(٢) مفردات الراغب: ص ٢٩٤.

(٣) راجع تفسير الأمثل: ج ١٧، ص ٣.

المرايا وبنظرة واحدة وعابرة يمكنه أن ينتبه إلى أنَّ ياقته منحرفة وغير مرتبة مثلاً، إذن نظرة واحدة كافية لمن يملك الإرادة، من هنا فإنَّ إرادة الاصلاح أيضاً لازمة.

وقد يطرح السؤال التالي: لماذا يمضي بعض العلماء الطبيعيين عمرهم في البحث والتحقيق في الطبيعة وظواهرها، لكنَّهم لا يعرفون الله تعالى؟

والجواب: لأنَّهم لا يملكون قصد وإرادة معرفة الخالق سبحانه، كمثل النجَّار الذي يصنع الكثير من السلالم لكنَّه لا يملك إرادة الصعود على هذه السلالم.

دروس وبصائر:

١- على الرغم من أنَّ تعاقب الليل والنَّهار يبدو بالنسبة إلينا شيئاً عادياً، لكن بعين البصيرة يظهر دليل النظام في هذا العالم جلياً: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾.

٢- إرادة الإنسان أرضية مهيأة لرشده: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾.

٣- الإنسان موجود مختار ولديه إرادة: ﴿لِمَنْ أَرَادَ﴾.

٤- الإنسان يملك فطرة يوقظها التذكر ﴿يَذَّكَّرَ﴾ والتذكر يستخدم عندما يكون في داخل الإنسان مطلبٌ كان يعلمه ثمَّ نسيه.

٥- الليل والنهار نعمة تليق بالشكر: ﴿أَرَادَ شُكُورًا﴾.

بحث حول العبادة:

شهر العبودية والعبادة:

شهر رمضان شهر العبوديَّة وعبادة الله تعالى، بحيث يستطيع

الإنسان أن ينال مقام القرب من المولى سبحانه بالتسليم لأوامره وتعاليمه ولجم النفس عن الرغبات والميول، مع أنَّ جميع الأيام والشهور والساعات كلُّها لحظات وميادين للتربية والرشد والتكامل والتقرُّب، كما جاء في الآية الشريفة: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1]، لكن لشهر رمضان خصوصية ليست في الشهور الأخرى.

سمات العبادة:

أ - العبودية والعبادة شكلت الأرضية لعروج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء- الاسراء: ١.

ب ـ العبادة تهيئ الأرضية لنزول الملائكة - البقرة: ٢٣.

ج ـ العبادة تجعل دعاء الإنسان مستجاباً - يس: ٦٠ و ٦١.

د ـ العبادة سمة شخصية للإنسان وإرادته، فالإنسان الذي تحيط به الغرائز والميول والرغبات من كلِّ جانب، يصبح ذا قيمة عالية عندما يخلع قلبه ويلجم نفسه من هذه الغرائز ويسير إلى الله تعالى.

هـ ـ العبادة تصل جزيرة هذا الإنسان الأرضي الصغيرة بمنبع الوجود وأصله.

و ـ العبادة تعني النظر إلى كلِّ الوجود من الأعلى.

ز ـ العبادة تعنى بفتح الاستعدادات والمؤهلات الروحية والمعنوية والعرفانية الكامنة في وجود الإنسان.

ح ـ العبادة هي تجديد العهد مع الخالق والحفاظ على الحياة المعنوية نضرة متجددة.

ط ـ العبادة تمنع ارتكاب الذنوب والمعاصي وترفع آثارها السيئة،

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

فذكر الله تعالى يحول دون الذنوب.

ق ـ الإنسان من غير عبادة أوضع من الجماد وأسفل من الحيوان، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[1].

ماهية العبادة ؟

العبادة هدف الخلق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]. إنَّ أيَّ عمل نقوم به سواء التكسب أو التحصيل العلمي، أو الزواج أو خدمة الناس، أو أيِّ عمل فيه منفعة لنا وللمجتمع، إن كان لأجل مرضاة الله تعالى فهو عبادة، فكلُّ عمل يعد عبادة عندما يكون الدافع لإنجازه مقدساً وشريفاً، وبتعبير القرآن الكريم: ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾[3]، أي أن يكون العمل مصبوغاً بلون إلهي، أيّ لله تعالى وفي مرضاته.

الفطرة والعبادة:

الأعمال التي نقوم بها على أساس الفطرة والخلقة التي لم تتدنَّس والتي وضعها الخالق سبحانه في كلِّ بشري هي أعمال قيِّمة، والعبادة هي أيضاً من الأمور الفطرية، لذلك نجد أنَّ أقدم آثار البشر المعمارية وأجملها وأحكمها تتعلق بالمعابد والمساجد. وهدف الأنبياء كذلك هو الدعوة إلى روح العبادة والتوجه إلى هذا العمل الفطري القيِّم في المجتمعات البشرية على مدى العصور. ﴿أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[4].

إنَّ للعبادة أصل وجذر فطري في وجود الإنسان، حتى ولو كان هذا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

الإنسان غافلاً، وحتى أولئك الذين لا يعبدون الله، ويعبدون المال والجاه والزوجة والأبناء ويحملون أفكار وعبادة المدارس والطرق المختلفة، فإنَّ في أعماق وجودهم توجد فطرة العبادة، لأنَّ من الاحساسات العميقة في الإنسان الميل إلى اللاّ نهاية والعشق للكمال والرغبة في البقاء، وما يؤمّن هذه الأحاسيس والميول الفطرية الموجودة في الإنسان هي العلاقة مع الخالق تعالى وعبادته؛ فالعبادة هي العلاقة التي تربط الإنسان بمنبع الكمالات والأنس بالمحبوب الحقيقي، وتمنحه اللجوء إلى القدرة اللامتناهية.

روح العبادة:

العبادة غذاء الروح، مثلما الطعام غذاء البدن، فكما أنَّ أفضل غذاء للبدن ما يجذبه البدن ويهضمه، كذلك فإنَّ أفضل العبادة ما تجذبها الروح، يعني ما تقوم على النشاط وحضور القلب.

يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه، وباشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر؟**»[1].

فلسفة العبادة:

١ ـ العبادة راحة القلوب واطمئنانها: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[2].

٢ ـ العبادة شكر لله سبحانه: ﴿**اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٧، ص ٢٥٣.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

٣ ـ العبـادة تحـول دون ارتكاب المعاصـي: ﴿إِنَّ الصَّـلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[١].

آثار العبادة وبركاته:

أ- تمنح الإنسان عزاً وافتخاراً: يقول الامام زين العابدين عليه السلام في مناجاتـه المعروفـة: (إلهـي كفـى بـي عـزاً أن أكون لك عبـداً)[٢].

ب- الاحساس بالقـدرة: (الله اكبـر) و ﴿إِنَّ اللهَ عَلَـى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيـرٌ﴾ فالإنسان الذي يعبد رباً قديراً أكبر من كلِّ شيء وقادراً على كلِّ شيء يشعر بالقوة والقدرة في مواجهة جميع الطواغيت والمستكبرين.

ج- تمنح الصبر والعزِّة: والعزَّة هنا بمعنى عدم قبول نفوذ الأعداء أو الشعـور بالانكسار أمامهـم، لأنَّ مدرسة الأنبيـاء مبنية على الاتصـال بالعزيـز المطلق والقـدرة اللامتناهيـة، وهذا يمنح الإنسـان الذي يتصـل بالله تعالى العزَّة والصبـر، من هنا نرى أنَّ أوليـاء الله تعالى يستمدون القوَّة والصبر عبر هذا الارتباط الذي تمثلـه الصلاة، خصوصاً في الأوقـات الحرجة والمقاطع الحساسة.

د- عامـل التربيـة: صحيـح أنَّ الصـلاة هـي عامل ارتبـاط روحي ومعنـوي، غير أنَّ الإسلام قـوّم هذه الروح في قوالب سلسلة من البرامج التربوية، من هذه السلسلة، طهارة الثياب، والتوجه نحو

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٤٠٢.

القبلة، والقراءة السليمة، بالإضافة إلى إباحة المكان واللباس وكلُّ ذلك يدخل ضمن شروط صحة الصلاة، وهذه الشروط في الحقيقة تتعلق بالجسد وليس بالروح، فإذا تأملنا جيداً في هذه الشروط نلاحظ أنَّ كلَّ واحد منها له دور مؤثر في تربية الإنسان.

هـ- الولاية على العالم: من بركات العبادة أنَّها تجعل الإنسان رويداً رويداً وخطوة خطوة ـ يتسلط على العالم، وبيان ذلك:

يقول تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[1]. والفرقان: تشخيص الحق من الباطل.

ويقول في موضع آخر: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾[2]. ثمَّ يقول في آية أخرى: ﴿اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[3]، من هنا يتبين أنَّ الإنسان في ظل العبادة والعبودية الخالصة للمولى تعالى يتلقى الأنوار والفيض الإلهي ويؤتى الحكمة فيملك القدرة على معرفة الحقّ من الباطل والتمييز بينهما، كذلك القدرة على مواجهة المشاكل والمصاعب التي تواجهه وحلها. ثمَّ في مراحل أخرى يستطيع أن يتحكَّم بالطبيعة من حوله لكن بشكل صحيح ومتوازن، وبالتالي يصل إلى درجة التسلط على العالم وإعمال الولاية عليه.

العبادة والولاية:

العبادة الحقيقيَّة القيِّمة هي العبادة التي تترافق مع معرفة القائد

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

الإلهي وولايته، وليست العبادة السطحية الفارغة من المعنى الحقيقي.

يحدثنا التاريخ في زمن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ هذا الإمام ابتلي بجماعة كانوا في الظاهر من العابدين المصلين عرفوا في التاريخ بفرقة المارقين «**الخوارج**»، كانت جباههم معفرة من كثرة السجود وطوله، لكنَّهم وقفوا في مواجهة الإمام علي عليه السلام. كذلك الأمر بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام فلا يظنَّ أحد أنَّ الذين اجتمعوا في كربلاء لقتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا جميعهم من تاركي الصلاة، كلا، هذا الأمر ليس صحيحاً، لقد كانوا ممن يصلون الجماعة.

إنَّ العبادة الواقعية المقبولة عند المولى تعالى يجب أن يصاحبها معرفة القائد الحق وطاعته، لذلك نقرأ في الروايات أنَّ الله سبحانه قد أوجب الحج ليجتمع الناس حول بيته العتيق فيلاقون إمامهم المعصوم ويجتمعون به في ذلك المكان المقدس، فيكون ارتباطهم به وثيقاً ومعرفتهم به قريبة، لكن للأسف ما نراه اليوم هو اجتماع الملايين في الكعبة لكن قلوبهم متفرقة وأفكارهم مشتتة، فإذا أقيمت العبادة تحت ظل القيادة الالهية وبرعايتها، فإنَّ الظلم والطاغوت سوف يزول من الوجود، يقول تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾[1].

ومن علامات العبادة والصفات التي عدّها المولى تعالى لعباد الرحمن ما يلي:

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٦.

وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾
وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ
ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ
أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ
مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ
لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

في هذه الآيات اثنا عشرة صفة لعباد الرحمن، بعضها صفات اعتقادية وبعضها اجتماعية والبعض الآخر أخلاقية.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾(٦٤).

نقاط وتأملات:

لعلَّ المراد من كلمة «**يمشون**» ليس فقط نوع الحركة والسير، بل يتعداه إلى أسلوب الحياة المعتدلة. و﴿هَوْنًا﴾ تعني التواضع والمداراة والطبع اللين وتعني أيضاً السكينة والوقار.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**هو الرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر**»[1].

(١) مجمع البيان: ج ٧٨، ص ٢٧٩.

أمَّـا كلمة «**سـلام**» فتعني هنا سلام الوداع لأقوالهـم غير المتروية، وليـس سـلام التحيَّـة الـذي هـو علامـة المحبَّـة ورابطـة الصداقة. والخلاصـة، أنَّه السلام الذي هو علامة الحلـم والصبر والعظمة. كما كان جواب إبراهيم الخليل عليه السلام لعمه عندما طرده قال: «**سلام عليك سأستغفر لك**»[1].

«**يبيتـون**» يعني يقومون بالليل في الصلاة سجداً، سواء الليل كله أو جـزءاً منه، كمـا يقال في المبيت في منى حيث يبيـت الحجاج في هذه المنطقة ليلة الحادي عشر والثاني عشر في شهر ذي الحجة، والفقهاء يحسبون مقدار البيتوتة في منى نصف الليل.

في خطبـة لأميـر المؤمنين علـي عليه السلام يصف فيها شيعتـه: «**أما الليل فصافون اقدامهم تالون لأجزاء القرآن**»[2].

دروس وبصائر:

١- اعلى مقـام للانسان مقـام العبودية لله: ﴿**وَعِبَـادُ الرَّحْمَنِ**﴾، لأنَّ الانتساب إلى اللاّنهاية يرفع الإنسان إلى مقامات عالية.

٢- سلـوك كل إنسان هو علامة شخصيته: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ... يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾. فالإنسان العابد للرحمن يجب أن تتجلى فيه مظاهر الرحمة مثل «السلام والتواضع والبيتوتة و...».

٣- الإسـلام دين جامـع، وبرنامجـه يشتمل حتـى على كيفيـة المشي وطريقة السلوك: ﴿**يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾.

---

(١) مجمع البيان: ج٧٨، ص ٢٧٩.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٤٦٤٧.

٤- إيمان الإنسان واعتقاده يؤثر في سلوكه الشخصي: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ... يَمْشُونَ﴾.

٥- التواضع ثمرة العبودية وأول علاماتها: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ... يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

٦- الإيمان هو منبع المداراة والحلم والطبع اللين عند عباد الرحمن، وليس الخوف والضعف: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ...﴾.

٧- الوقار واللين من أبرز صفات المؤمن: ﴿يَمْشُونَ... هَوْنًا﴾.

٨- التواضع لازم عند جميع فئات الناس، الكبير والصغير، المرأة والرجل، العالم والجاهل: ﴿يَمْشُونَ... هَوْنًا... قَالُوا سَلَامًا﴾.

٩- يجب عدم مقابلة الجاهلين بالمثل: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ فإذا كان جواب الجاهلين ﴿سَلَامًا﴾ فكيف إذا كان الجواب للصالحين، فهو أولى.

١٠ - المدارة والحلم والصبر من الصفات البارزة للمؤمن: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ يقول البعض: إنَّ الجواب في مقابل الجاهلين والبلهاء هو السكوت لكن القرآن يقول الجواب هو: ﴿سَلَامًا﴾.

١١- يجب أن يكون التواضع في العمل: ﴿يَمْشُونَ... هَوْنًا﴾ وكذلك في المخاطبة: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، وأيضا في العبادة: ﴿سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

١٢-عليكم أن لا تجادلوا الجاهلين والحمقى: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ فهم يقولون ما في شأنهم، لكن أنتم قولوا قولاً كريماً وبعلم.

١٣-أفضل أوقات العبادة الليل، فبين الليل والصلاة والمناجاة علاقة

وطيـدة وخاصة: ﴿يَبِيتُـونَ لِرَبِّهِمْ﴾ فهذا الوقت فيـه فضاء هادىء وتمركز الفكر، وبعيد عن الرياء.

١٤-إحيـاء الليـل والـدوام علـى العبـادة مـن علامات عبـاد الرحمن الخاصين: (فعل يبيتون مضارع وهذا يدل على الدوام والاستمرار).

١٥- إنَّ ما يمنح العبادة قيمه هو الاخلاص: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾(٦٦).

نقاط وتأملات:

كلمـة ﴿غَرَامًا﴾ في الأصل بمعنـى المصيبة، والألـم الشديد الذي لا يفـارق الإنسـان، ويطلق «**الغريم**» على الشخص الدائن، لأنَّه يلازم الإنسـان دائمـاً من أجل أخذ حقـه. ويطلق «**الغرام**» أيضـاً على العشق والعلاقة المتوقدة التي تدفع الإنسان بإصرار باتجاه عمل أو شيء آخر، ونطلق هـذه الكلمة على جهنَّم «**لانَّ عذابها شديد ودائم لا يزول**»[١]. والخلاصة: أنَّ المعنى عذاب لازم وملّحُ ودائم غير مفارق.

دروس وبصائر:

١- إذا كنتم ممن يحيون الليل فإياكم والغرور: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ...﴾.

٢- ذكـر المعاد من خصائص عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾.

---

(١) تفسير الأمثل: ج١١، ص٣٠٧.

٣- عباد الرحمـن الخلَّص، يخافون من جهنَّم قبل أن يطمعوا بالجنَّة: ﴿يَبِيتُونَ... يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾(٦٧).

نقاط وتأملات:

كلمـة «قوام» تعني الحد الوسط، وقيل هو العدل والاستقامة و«قِوام» بالكسر ما يقوم به الأمر ويستقر. والمعنى أنَّه كان انفاقهم بين الاسراف والإقتـار لا اسرافاً يدخلون به حد التبذيـر، ولا تضييقاً يصيرون به في حد المانع، والقوام هو الحد الممدوح.

عـن الامام أبي عبـد الله عليه السلام قال: أربعة لا يستجـاب لهم دعوة رجل فاتح فاه جالس في بيته فيقول: يا رب ارزقني، فيقول له: ألم آمرك بالطلـب، ورجل كانت له امرأة يدعو عليها، يقول: يا رب ارحمني منها، فيقـول: ألم أجعـل أمرها بيدك، ورجل كان له مـال فأفسده، فيقول: يا رب ارزقنـي، فيقول: ألم آمـرك بالاقتصاد، ورجل كان لـه مال فأدانه بغير بينة، فيقول: ألم آمرك بالشهادة[١].

ورد فـي الكتـاب المبين قوله تعالـى: ﴿عَلَى الْمُوسِـعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾[٢].

---

(١) راجع: تفسير مجمع البيان، ج ٧-٨ص ٢٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٦.

وقال أيضاً: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[1].

تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾. قال: فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده، فقال: هذا الاقتار الذي ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه، ثمَّ قبض قبضة أخرى فأرخى كفّه كلّها، ثمَّ قال: هذا الاسراف، ثمَّ أخذ قبضة أخرى فأرخى بعضها وأمسك بعضها وقال: هذا القوام[2].

دروس وبصائر:

١- الانفاق بالنسبة لعباد الرحمن تكليف ومسألة قطعية: ﴿إِذَا أَنفَقُوا...﴾، وكلمة «إذا» في اللغة العربية تفيد العمل أما كلمة «لو» فتفيد عدم العمل.

٢- يجب أن تترافق أعمال العبادة (صلاة الليل والخوف من الله مع الانفاق وتفقد أحوال المحرومين): ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ... أَنفَقُوا﴾.

٣- الإنسان مالك لكن له حدود في الانفاق: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾.

٤- الاسراف ليس جائزاً حتى في الانفاق: ﴿إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾.

٥- عباد الله ﴿الرَّحْمَنِ﴾ بعيدون عن صفة البخل: ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾.

٦- المسلمون معتدلون في حياتهم: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

٧- الوسطية في العبادة والإنفاق جيدة وقيمة: ﴿قَوَامًا﴾.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٢) تفسير الأمثل: ج١١، ص ٣٠٩.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾(٦٨).

نقاط وتأملات:

«**الاثم**» و«**آثام**» في الأصل بمعنى الأعمال التي تمنع وصول الإنسان إلى المثوبة، ثمَّ أطلقت على كلّ ذنب، لكنَّها هنا بمعنى جزاء الذنب. وقال بعضهم أيضاً: إنَّ «**إثم**» بمعنى الذنب و «**آثام**» بمعنى عقوبة الذنب[١].

في هذه الآية طرحت مسألة قتل النفس والزنا وقد جاء في الروايات أنَّ هذه الأعمال من الذنوب الكبيرة. ويعد قتل النفس من الكبائر ﴿**إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾. والقتل إلا بالحق تشمل الموارد التالية:

١- قصاص القاتل.

٢- الفاحشة بالمحرم.

٣- فاحشة الكافر بالمسلمة.

٤- إكراه المرأة على الفاحشة.

٥- الفاحشة من المحصن والمحصنة.

٦- ادعاء النبوة.

٧- سب النبي ﷺ وشتمه وتوهينه.

٨- المسلم السَّاحر.

٩- المفسد والمحارب.

١٠-المرتدّ.

---

(١) تفسير الأمثل: ج ١١ص ٣١٣.

١١- الخارج على إمام زمانه العادل.

١٢- المشرك المحارب[١].

دروس وبصائر:

١- أشد الغرائز خطراً على الإنسان بحيث تجره إلى ارتكاب المعصية غريزتي الغضب والشهوة، ويجب على المؤمن أن يسيطر على غرائزه: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ - وَلَا يَزْنُونَ﴾.

٢- الأوامر القرآنية في موضوع تجنب الشرك والزنا والقتل، ليست فقط من باب الموعظة، بل قانونية تستلزم معاقبة المخالفين بشدة: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

٣- القانون بحاجة إلى من يضمن تنفيذه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

٤- العقاب الالهي حتمي وقطعي: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(٧٠).

نقاط وتأملات:

إنَّ مضاعفة العذاب الذي يستحقه المجرمون لا يتنافى مع العدل الإلهي، لأنَّ العذاب المضاعف يستحق في ظروف حيث تكون للذنوب

---

(١) راجع سيماى عباد الرحمن در قرآن، كريمى جهرمى.

آثـار مشؤومـة وسيئة مضاعفـة. فمن يرتكـب الفاحشة مثـلاً يرتكب المعصية ويجر الطرف الآخر إلى ذلك، ويمكن أن ينتج عن هذا الفعل الولـد الحرام بحيث يكون لذلك عواقـب وتبعات سيئة جداً، وفي القتل أيضـاً فإنَّ القاتـل يزهق أرواح الآخرين، ويحيل أفـراد عوائلهم أيتاماً مـن غير معيـل، وبذلك يصبـح المجتمع مـن دون أمـن. إنَّ كلّ واحد مـن هذه الأفعال والعناوين يستحـق العقاب، كذلك حين نرى أنَّ بعض الأشخاص يبتدعـون في المجتمعـات سنة سيئة، فكل مـن يعمل بهذه السنـة على مدى التاريخ آثم، والإثم يلحق بموجـد السنة السيئة أيضاً وهـذاثابـتلاشـكفيـه.

في عيون أخبار الرضا عليه السلام: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله هلـك فـلان، يعمل من الذنـوب كيت وكيت، فقـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بل قـد نجـا ولا يختم الله تعالـى عملـه إلا بالحسنى، وسيمحـو عنه الله السيئـات، ويبدلها لـه حسنات، إنَّه كان مرَّة يمـرُّ في طريق عرض له مؤمـن قـد انكشفت عورته وهـو لا يشعر فسترها عليـه ولم يخبره بها مخافـة أن يخجل، ثمَّ أنّ ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له: اجزل الله لك الثواب وأكرم لـك المآب ولا ناقشك الحساب، فاستجاب الله لـه فيه، فهذا العبد لا يختم له إلا بخير بدعـاء ذلك المؤمن، فاتصل قول رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الرجل فتاب وأناب وأقبل إلى طاعة الله عزَّ وجـلَّ فلم يأتي عليـه سبعة أيام حتـى أغير على سـرح المدينة فوجه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فـي أثرهم جماعـة ذلك الرجـل أحدهـم فاستشهد فيهـم[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥، ص ١٥٥١٥٦.

بعض العوامل التي تضاعف العذاب:

١- فـي بعض الحالات، ومنهـا أن يكـون الإنسان شخصيـة اجتماعية مميزة:

نقرأ في القرآن الكريم أنَّ المولى تعالى خاطب نساء الرسول ﷺ بقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ منكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ...﴾[١].

ويقول أيضاً: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ...﴾[٢].

٢- وفي حالات أخرى يضاعف العذاب لجهة ارتباطها بالزمان والمكان: فقـد ورد في الروايـات أن ارتـكاب المعصية يـوم الجمعة يضاعف عذابهـا والعمـل الحسـن في هـذا اليـوم مضاعف أجـره. (كذلك فالمعصية في الأماكن المقدسة يختلف عنها في الأماكن العادية).

٣- أحياناً يوسم الذنب بعنوان «مفتاح الذنوب»: فبالإضافة إلى انحراف الشخص المذنب نفسه، فقد ينحرف الآخرون بسببه وينجرون إلى المعصية، كما يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا... يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾[٣].

دروس وبصائر:

١- عذاب الآخرة كمّي ﴿وَيَخْلُدْ﴾ ونوعي ﴿مُهَانًا﴾.

٢- ليس في الإسلام طريق مسدود، بل هناك – دائماً – للمذنب طريق عودة: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١٩ ٢٠.

٣- عنـد ارتكاب الذنب يذهب الإيمان وعنـد التوبة يعود: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ﴾.

٤- التوبـة عبـارة عن ثـورة مكتملـة الجوانـب وليست حركـة سطحية ولفظيـة، فالعمـل الصالح علامة التوبـة الحقيقيـة: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ﴾.

٥- التوبة الحقيقيـة والإيمان الواقعي يبدلان أعمال الإنسان ويصلحان سلوكه الفاسد: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾(٧١).

دروس وبصائر:

١ ـ التوبـة الحقيقية هي التوبة المترافقـة مع العمل الصالح: ﴿تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

٢ ـ التائب ضيف الله تعالى: ﴿يَتُوبُ إِلَى اللهِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾(٧٢).

نقاط وتأملات:

كلمة «**شهد**» لها معنيان: «**الحضور**» و«**الاخبار**» و«**الشهادة**»، ويمكن الاستفـادة مـن المعنييـن في هـذه الآية، فمـن جهة عبـاد الرحمن لا يشهدون شهادة الزور ومن جهة أخرى لا يحضرون مجالس اللهو.

كلمة «زور» تعني العمـل الباطل في قالب الحق، وفي التفاسير تعني الشهادة بالباطل والكذب، وأيضاً بمعنى الغناء واللهو الذي يلوث القلب

والروح. وقد ورد في بعض الروايات أنَّ المراد من «الزور» في «يشهدون الزور» مجالس الغناء.

جاء في تفسير مجمع البيان: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ واللغو المعاصي كلّها أي مرّوا به مرّ الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنَّهم يجلون عن الدخول فيه والاختلاط بأهله... والتقدير إذا مرّوا بأهل اللغو وذوي اللغو مرّوا منزّهين أنفسهم معرضين عنهم فلم يجاروهم فيه ولم يخوضوا معهم في ذلك فهذه صفة الكرام يقال تكرَّم فلان عمَّا يشينه إذا تنزّه وأكرم نفسه عنه وقيل مرورهم كراماً هو أن يمرّوا بمن يسبّهم فيصفحون عنه وبمن يستعين بهم على حق فيعينونه وقيل هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه عن أبي جعفر[1] عليه السلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام ذكر حديثاً طويلاً يقول فيه: وفرض الله على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرَّم الله وأن يعرض عمَّا لا يحل له مما نهى الله عزَّ وجلَّ عنه، والإصغاء إلى ما أسخط الله في ذلك: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ إلى أن قال عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ فهذا ما فرض على السمع من الإيمان أن لا يصغى إلى ما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان[2].

دروس وبصائر:

١- ليس ارتكاب المعصية حراماً فقط، بل الحضور في مجالس اللغو والفحشاء والمشاركة فيها حرام أيضاً: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

---

(١) مجمع البيان: ج ٧-٨، ص ٢٨٣.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٤٢.

٢- ليس كل حضور ومشاركة في المجالس يعد قيماً، فأحياناً يكون الانزواء عن المجتمع أفضل: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

٣- إنَّ أي نوع من اللغو - سواء في الكلام أو العمل أو الميول والرغبات - ممنوع: ﴿مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾، فعباد الله لهم أهداف معقولة ومفيدة ولا يصرفون أعمارهم في الأعمال الباطلة وغير المفيدة.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(٧٤).

نقاط وتأملات:

يجب أن يكون الإيمان على أساس الاطلاع والمعرفة والتّبصر، فنحن نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾[1].

وهذا يعني أنَّ المؤمنين يتفكرون في خلق السماوات والأرض أولاً، ثمَّ بعد ذلك يقرّون أنَّ هذا الخلق ليس عبثاً ولا باطلاً، لذلك نرى في هذه الآية - مورد البحث - أنَّ المؤمنين إذا مرّوا بآيات الله أو ذكّروا بها لم يمرّوا بها صمّاً وعمياناً.

دروس وبصائر:

١- من صفات عباد الرحمن العبودية والبصيرة والإطلاع والتفكر:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

﴿إِذَا ذُكِّرُوا... لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾. فهم مؤمنون مطلعون بصيرون.

٢- الإنسان مسؤول عن زوجته وأولاده ويجب أن يسعى في حسن عاقبتهم ويدعو إلى ذلك: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا...﴾.

٣- الإسلام يهتم لبناء الأسرة والأطفال ويحث الإنسان على الدعاء لإنجاب الذرية الصالحة: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾(٧٦).

نقاط وتأملات:

«**الغرفة**» تطلق على الأقسام العليا من البناء، ومنازل الطبقات العليا، وهي هنا كناية عن أعلى منازل الجنَّة والدرجة الرفيعة.

دروس وبصائر:

١- الجنَّة لها ثمن: ﴿يُجْزَوْنَ... بِمَا صَبَرُوا﴾.

٢- العبودية لله تعالى بحاجة إلى الصبر والمثابرة والثبات: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾.

صفات عباد الرحمن:

تبين هذه الآيات اثنتي عشرة صفة من صفات عباد الرحمن الخاصة، بحيث ترتبط هذه الصفات بجوانب اعتقادية وأخلاقية واجتماعية، ويتعلق بعض منها بالفرد والبعض الآخر بالجماعة، وهي

مجموعة من أعلى القيم الإنسانية وأسماها.

١- **الصفة الأولى:** التواضع ونفي الكبر والغرور والتعالي الذي يبدو في جميع أعمال الإنسان وفي حركاته وسلوكه، وحتى في طريقة مشيته، لأنَّ الملكات الأخلاقية تظهر من خلال الأعمال والسلوكيات الظاهرة من الأقوال والحركات، بحيث يمكن تشخيص قسم من أخلاق الإنسان من أسلوب مشيته، فعباد الرحمن أشخاص متواضعون والتواضع مفتاح الإيمان، في حين أنَّ التكبر والغرور مفتاح الكفر.

ولقد أمر الله عزَّ وجلَّ نبيه: ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾[1].

٢- **الصفة الثانية:** الحلم والصبر: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾. وهذا الجواب علامة اللامبالاة المقترنة بالعظمة وليس الناشيء من الضعف، فهو سلام الوداع لأقوالهم الواهية النابعة من الجهل، وليس سلام التحية الذي هو علامة المحبة والصداقة.

إذن هو سلام تتمظهر فيه علامة الحلم والصبر والعظمة، عظمة عباد الرحمن الروحية، وهو التحمل وسعة الصدر الذي يستطيع المؤمن معهما أن يطوي طريق عبودية الله تعالى.

٣- **الصفة الثالثة:** العبادة الخالصة لله: ﴿**يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾. فهؤلاء العباد نهضوا في عتمة الليل حيث الناس نيام يبتغون الراحة، وحيث لا مجال للتظاهر والرياء، قاموا بقلوب عامرة وروح

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

مبتهجة ليذكروا الله ويتعبدوا بالسجود والقيام، ويناجوا المحبوب الأزلي.

٤- **الصفة الرابعة:** الخوف من الله تعالى، الخوف من عذابه: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ..﴾. الشديد الدائم.

إنَّ قلوب عباد الرحمن الخلّص مملوءة بالخوف من المسؤوليات الملقاة على عاتقهم، الخوف الباعث على القوَّة في الحركة لأداء التكاليف الدينية والعملية بأفضل صورة، لأنَّ هذا الخوف يوجه الإنسان من داخله نحو إنجاز الأوامر والتكاليف الإلهية، فيصبح محركاً باطنياً ومحفزاً داخلياً، فيرى مع ذلك نفسه دائماً مقصرة أمام خالقها سبحانه وتعالى.

٥- **الصفة الخامسة:** الاعتدال والتوازن والابتعاد عن الافراط والتفريط، قولاً وعملاً، خصوصاً في الانفاق، فلا اسراف ولا تقتير: ﴿إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا... بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

إنَّ الانفاق أحد الأعمال الضرورية لكلِّ إنسان، لكن الكلام في كيفية الانفاق، إنَّ انفاقهم إنفاق عادل ومتوازن بعيد عن الاسراف والبخل.

٦- **الصفة السادسة:** هي التوحيد الخالص البعيد عن كلِّ أنواع الشرك والتعددية في العبادة: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾. قد أنار التوحيد قلوبهم وطهَّر أرواحهم وأفكارهم من كلِّ شائبة وشرك، فسمت نفوسهم وخضعت لله سبحانه.

٧- **الصفة السابعة:** الطهارة من التلوث بدماء الأبرياء: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. إنَّ جميع الأنفس البشرية محترمة

فـي الأصل، ولا يجوز إراقـة دمائهم إلا بالحق ومـع وجود الأسباب والعلل التي ترفع هذا الاحترام. فعباد الرحمن لا يعتدون ولا يريقون الدماء البريئة ولا يقتلون النفس التي حرم الله تعالى.

٨- **الصفـة الثامنة:** العفـاف وعدم التلوث بالفحشـاء: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ لقد اختاروا طريق الطهر والنقاء والعفاف، فحفظوا فروجهم إلا ما أحل لهم.

٩- **الصفـة التاسعـة:** احترام حقـوق الغير وحفظها، فهـم لا يشهدون بالباطـل مطلقـاً: ﴿وَالَّذِيـنَ لَا يَشْهَدُونَ الـزُّورَ﴾، ولا يميلون إلى الانحـراف والكـذب والظلـم لأنَّهـا مصاديـق «الـزور»، كذلـك لا يحضـرون مجالـس اللغو والغنـاء والباطل، لأنَّ مـن معاني الشهود «الحضـور»، وهذا يعنـي أنَّ عباد الرحمـن لا يتواجدون في مجالس الباطـل؛ لأنَّ هـذه المجالـس ليس فيهـا سوى اللعـب واللهو وشرب الخمور والكذب والغيبة وأمثالها.

١٠- **الصفـة العاشـرة:** الجدّية وامتلاك الهـدف الايجابي في الحياة، فهذه الصفـة تجعلهم بعيدون عـن اللاّمبالاة والعبـث واللهو، فهم لا يحضـرون مجالس الباطل ولا يلوثـون أنفسهم باللغو: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَـرُّوا كِرَامًا﴾ أنفسهـم كبيرة، وقلوبهم عامـرة، وأرواحهم طاهـرة، إذا اعترضهـم عمل أو قـول باطل، مـروا بمحاذاته مرور اللامبالي، وهذا يدل على عدم الرضا الداخلي على هذا العمل وهذا القول، فهم عظماء لا تؤثر عليهم أجواء اللهو والفساد والباطل.

١١- الصفـة الحاديـة عشر: امتـلاك العين الباصـرة والأذن السّامعة، بحيـث يُعملون هذه الحواس في التأمـل والتذكر والتدبر، في خدمة

طاعـة الله وعبوديّتـه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَـاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

إنَّ عبـاد الرحمن يملكون عيوناً باصرة ناظـرة في الباطل، متعمقة في الأشيـاء، وأذناً مرهفة غارقة بلطائف الخالـق وحكمه، فهم عرفوا مـا يريد الله منهم وعملوا مـن أجل مرضاته، ولولا ذلـك لكانوا همجاً رعاعـاً، لا يبصرون ولا يسمعـون، فتشتبه عليهم الأمـور، كما اشتبهت علـى غيرهـم ممن انحرفـوا وضلّوا، وأصبحـوا أداة في يـد الشياطين وأعداء الدين.

١٢- الصفة الثانية عشر: الاهتمام بالأسرة الصالحة والتوجه الخاص بتربيـة أبنائهم، فهم مؤمنون بأنَّهم مسؤولون عن أسرهم وأولادهم فـي مقابل المولى عـزَّ وجلَّ، وهـذه مسؤولية عظيمـة يترتب عليها مستقبل المجتمع في الدنيـا وسعادتهم في الدار الآخرة: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، والدعاء هنا يدل على ميولهـم الداخلية الحقيقية لهذا الأمر، وكذلـك إشارة واضحة إلى صفاء سرائرهم وطيب نفوسهم، ورمز واضح لجدهم واجتهادهم، إنّ هكـذا أفراد لا يقصّرون في تربية أبنائهم، وبذل كلّ طاقة وجهد في هـذا الطريـق؛ لأنَّ مسألة تربيـة الأبناء وإرشـاد الزوجات تعد الركـن الأساس في بنـاء المجتمعات، فإنَّ صلـح الأبناء والزوجات صلح المجتمع والعكس صحيح.

على أنَّ عباد الرحمن لا يقفون عند هذا الحد، بل يريدون أن يكونوا أئمـة للناس، ونماذج جيدة لهـم: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. والحقيقة أنَّ من تجتمع فيه هذه الصفات يليق أن يكون قدوة ونموذجاً حسناً.

الخاتمة الحسنة:

بعد اكتمال هذه الصفات والفضائل في عباد الرحمن، يبين المولى تعالى ما أعد لهم من الجزاء والثواب العظيم: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾. لذلك فإنَّ عباد الرحمن بامتلاكهم هذه السجايا الرفيعة استحقوا أن يكونوا في الصف الأول من المؤمنين، وينالوا الدرجات العليا، ومنازل الجنة الرفيعة وهذا الجزاء في الحقيقة هو ثمن الصبر والاستقامة في طريق الله الصعبة، فهم صبروا وتحمَّلوا الصعاب وواجهوا المشكلات الجمّة في طريق الحق، وجاهدوا أنفسهم وأعداءهم، فاستحقُّوا كلَّ هذا المقام العظيم والدرجة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾(٧٧).

نقاط وتأملات:

«عبأ» وأصله من العبء، أي: الثقل، كأنَّه قال: ما أرى لكم من وزن وقدر والمعنى لم أبالِ بكم[١]. يعني أنَّ الله تعالى لا يعد لكم وزناً ولا قدراً ولا يبالي بكم لولا أنَّه يدعوكم إلى الإيمان وإلى الدين ويرسل لكم الرسل وقد فعل ذلك، وقيل معناه لولا دعاؤكم إياه وعبادتكم له وإيمانكم به وتوحيدكم إياه[٢].

(١) راجع مفردات الراغب: ص ٥٤٤.

(٢) مجمع البيان: ج ٧ – ٨، ص ٢٨٤.

وبالإجمال فإنَّ كلمة «**دعاؤكم**» لها معنيان:

أ- إنَّ توجهكم إلى الله تعالى ودعاءكم إياه وتضرعكم هو سبب عنايته بكم والتفاته إليكم، كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الدعاء مخّ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحد**»[1]. في المقابل فإن الله تعالى يعذب الكافرين الذين تركوا الحق وكذبوه ولم يدعوا الله تعالى، بل دعوا من دونه من الأصنام والطواغيت، فحق عليهم العذاب.

ب- دعوة الله تعالى الناس إلى الإيمان، لأنَّ سنة الله سبحانه تقتضي دعوة البشر لقبول الحق وإتمام الحجة ببعث الرسل والأنبياء، ﴿**لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾ ولولا ذلك لم يكن للناس وزن ولا قيمة عند المولى عزَّ وجلَّ. فالقيمة الحقيقية للبشر تقوم عند إيمانهم وقبولهم الحق، أي قبول دعوة الحق سبحانه لكنكم أيُّها الكفار لم تقبلوا دعوة الحق فلا قيمة لكم عنده سبحانه، والنتيجة أنّ لا خير فيكم ولا أمل، لذلك ستنالون العقاب بما كفرتم وبما رفضتم هذه الدعوة الالهية. يقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[2].

دروس وبصائر:

١- تكذيب الدين يبعث على سقوط قيمة الإنسان: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ... فَقَدْ كَذَّبْتُمْ**﴾.

---

(١) ميزان الحكمة: ج٣، ص ١١٥٨، ح ٥٥١٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

٢- الدعاء وسيلة لتحصيل القيمة: ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ... لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.

٣- الإنسان من غير الدعاء والهداية لا شيء: ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ... لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.

٤- الدعوة إلى الحق من شؤون ربوبية الخالق: ﴿رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.

٥- إنَّ محور الوجود هي المعنويات الروحية: ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ... لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.

لأنَّ الوجود خُلق للانسان، وخلق الإنسان لقبول الحق وعبادة الرحمن تعالى.

٦- الإنسان من غير هداية ولا دعاء يكون عملياً قد كذّب الأنبياء: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

بحث حول شهر الدعاء:

الدعاء أجمل نغمات الوجود، وأقوى تعلق وارتباط بين الخالق والمخلوق، فالدعاء مجبول في وجود الكائنات ومترافق مع أنفاسها في التسبيح والقنوت: ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[1]، وهو الذكر الذي يعد وسيلة الاطمئنان والسكينة: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2]. وهو وسيلة الحوار بين الإنسان المحتاج الغارق في النقص مع الخالق المستغني منتهى الكمال، وهو وسيلة الرشد والتكامل والتربية، والمحيي لروح المعرفة، وسبب للعشق والعبادة وإدراك الإنسان لنقصه في الأبعاد الثلاثة: العلم والقدرة والإرادة. والدعاء يجعل الإنسان خاضعاً عن علم ومعرفة أمام الذات المقدسة القادرة والحكيمة

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

والرحيمة، ويهيىء الأرضية لصعود الإنسان وترقيه ليحلق عالياً في أوج الملكوت ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

والله تعالى يحب أن يسمع صوت عبده المؤمن في الدعاء ويحب أن يتكلم عبده معه فيناجيه ويتضرع إليه، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾[2].

لكن السؤال: ما دام الأمر كذلك، فلماذا ندعوا ولا يستجاب لنا؟

الجواب: أن للدعاء آداب وشروط، فقد سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن ذلك فأجاب: «**قلوبكم خانت بثمان خصال: أولها: أنَّكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه كما أوجب عليكم، فما أغنت عنكم معرفتكم شيئاً، والثانية: أنَّكم آمنتم برسوله ثمَّ خالفتم سنته وأمتم شريعته، فأين ثمرة إيمانكم، والثالثة: أنَّكم قرأتم كتابه المنزل عليكم، فلم تعملوا به، وقلتم سمعنا وأطعنا، ثمَّ خالفتم، والرابعة: أنَّكم قلتم أنَّكم تخافون من النار، وأنتم كلّ وقت تقدمون إليها بمعاصيكم فأين خوفكم؟ والخامسة: أنَّكم قلتم أنَّكم ترغبون في الجنة وأنتم في كلّ وقت تفعلون ما يباعدكم منها، فأين رغبتكم فيها؟ والسادسة: أنَّكم أكلتم نعمة المولى ولم تشكروا عليها، والسابعة: أنَّ الله أمركم بعداوة الشيطان وقال ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فعاديتموه بلا قول، ووالیتموه بلا مخالفة، والثامنة: أنَّكم جعلتم عيوب الناس**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

نصب عيونكم، وعيوبكم وراء ظهوركم، تلومون من أنتم أحق باللوم منه، فأيّ دعاء يستجاب لكم مع هذا؟ وقد سددتم أبوابه وطرقه؟ فاتقوا الله وأصلحوا أعمالكم، وأخلصوا سرائركم وأمروا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر فيستجيب الله لكم دعاءكم[1].

ولما سئل الامام الصادق عليه السلام عن سبب عدم استجابة الدعاء أجاب: إحفظ آداب الدعاء...فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة...)[2].

شروط الدعاء:

١- معرفة الله وتمجيده: ﴿فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾.

٢- حسن الظن بالمولى تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾.

٣- الاصرار على الدعاء: ﴿أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾.

٤- لقمة الحلال: ﴿أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾.

٥- حضور القلب: ﴿مُخْلصينَ﴾.

٦- التوسل: ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾.

٧- الاخلاص: ﴿إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ﴾.

٨- التضرع خفية: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

٩- المكان المناسب «**المقدس**» المساجد، تحت قبة مقام الإمام الحسين عليه السلام. عند قبور العلماء والشهداء والمؤمنين والوالدين و..

١٠- الأوقات المقدسة: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا﴾.

---

(١) راجع البحار: ج ٩٠، ص ٣٧٦٣٧٧.

(٢) ميزان الحكمة: ج٣، ص ١١٦٦ح ٥٥٨٧.

١١- التوبة قبل الدعاء: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾.

١٢- الدعاء للآخرين.

١٣- العمل الحسن.

ب- آداب الدعاء:

١- البسملة والحمد والثناء على الله تعالى قبل البدء بالدعاء.

٢- الصلوات على محمد وآل محمد قبل البدء بالدعاء.

٣- صلاة ركعتين قبل الدعاء.

٤- التلفظ بلفظ الجلالة في بداية الدعاء.

٥- الاقرار بالذنوب قبل الدعاء.

٦- الدعاء بعد الصلاة الواجبة.

٧- الجلوس والتوجه نحو القبلة ورفع اليدين نحو السماء.

٨- أن لا يستصغر شيئاً من الدعاء.

٩- حسن الظن باستجابة الدعاء.

١٠- طلب جميع حاجاتنا من الله تعالى.

١١- التيقن باستجابة الدعاء.

١٢- الانقطاع إلى الله سبحانه عند الدعاء وقطع كل أمل من غيره.

ج - موانع الدعاء:

١- عدم مراعاة آداب الدعاء وشروطه.

٢- عدم وجود مصلحة في استجابة الدعاء.

٣- قد تكون استجابة الدعاء إخلالاً في نظام الخلق.

٤- لقمة الحرام.

٥- إن الله يحب أن يسمع صوت عبده في الدعاء لذلك لا يستجيب له

مباشرة.

٦- عدم وجود النية السليمة، ويجب اصلاحها.

٧- إذا كان القلب غافلا ولاهياً.

٨- الذنوب تمنع الاستجابة.

٩- ظلم الآخرين يمنع الاستجابة.

جاء رجل إلى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: إنّي دعوت الله فلم أر الاجابة، فقال: لقد وصفت الله بغير صفاته، وإنَّ للدعاء أربع خصال: إخلاص السريرة وإحضار النية، ومعرفة الوسيلة، والإنصاف في المسألة، فهل دعوت وأنت عارف بهذه الأربعة ؟ قال لا، قال: فاعرفهنَّ[1].

إنّ الله تعالى رحمن رحيم وهو أرحم الراحمين، يحب عباده ويحب أن يسمع أصواتهم ومناجاتهم وهو قادر على كلِّ شيء، وقال ادعوني استجب لكم، لكن يجب علينا نحن العباد الخاطئين أن نزيل الموانع وندفع المعوقات من أمام استجابة الدعاء، وذلك بالمعرفة والتوكل والأمل الكبير برحمته تعالى وبحسن الظن به والتيقن أنّه مجيب قريب.

وعلى الله فليتوكل المتوكلون

والحمد لله رب العالمين

(١) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٨٥، ح ٥٧١٧.

الفهرس

مقدمة الجمعية ٥

ملامح سورة الفرقان: ١٥

نقاط وتأملات: ١٧

القرآن له نزولان: ١٧

دروس وبصائر: ١٨

شهر نزول القرآن: ١٩

نقاط وتأملات: ٢٢

دروس وبصائر: ٢٣

دروس وبصائر: ٢٣

نقاط وتأملات: ٢٤

دروس وبصائر: ٢٤

نقاط وتأملات: ٢٥

دروس وبصائر: ٢٥

نقاط وتأملات: ٢٦

دروس وبصائر: ٢٦

نقاط وتأملات: ٢٧

دروس وبصائر: ٢٧

نقاط وتأملات: ٢٨
دروس وبصائر: ٢٨
نقاط وتأملات: ٢٩
دروس وبصائر: ٢٩
نقاط وتأملات: ٣٠
دروس وبصائر: ٣٠
نقاط وتأملات: ٣٠
دروس وبصائر: ٣٢
دروس وبصائر: ٣٢
نقاط وتأملات: ٣٣
دروس وبصائر: ٣٣
نقاط وتأملات: ٣٤

الدافع إلى السؤال ليس أمراً واحداً: ٣٥

دروس وبصائر: ٣٥
نقاط وتأملات: ٣٦

عوامل النسيان والغفلة: ٣٦

دروس وبصائر: ٣٧
نقاط وتأملات: ٣٧
دروس وبصائر: ٣٨
دروس وبصائر: ٣٩
نقاط وتأملات: ٤٠
دروس وبصائر: ٤١
نقاط وتأملات: ٤١
دروس وبصائر: ٤٢

نقاط وتأملات: ٤٢
دروس وبصائر: ٤٣
نقاط وتأملات: ٤٤
دروس وبصائر: ٤٤
نقاط وتأملات: ٤٤
دروس وبصائر: ٤٥
نقاط وتأملات: ٤٥
بحث حول الصاحب والصحبة: ٤٥
دروس وبصائر: ٤٦
نقاط وتأملات: ٤٧
رفع هجر القرآن: ٤٨
إقرار بعض العلماء الكبار حول هجر القرآن: ٤٩
دروس وبصائر: ٥١
دروس وبصائر: ٥١
نقاط وتأملات: ٥٢
دلائل وآثار النزول التدريجي للقرآن: ٥٣
ما هو الترتيل ؟ ٥٤
دروس وبصائر: ٥٤
نقاط وتأملات: ٥٥
دروس وبصائر: ٥٥
دروس وبصائر: ٥٦
نقاط وتأملات: ٥٦
دروس وبصائر: ٥٧

دروس وبصائر: ٥٧
نقاط وتأملات: ٥٨
من هم أصحاب الرسّ: ٥٨
دروس وبصائر: ٦٢
نقاط وتأملات: ٦٣
دروس وبصائر: ٦٣
دروس وبصائر: ٦٤
دروس وبصائر: ٦٤
نقاط وتأملات: ٦٥
دروس وبصائر: ٦٦
نقاط وتأملات: ٦٧
الجواب: ٦٧
دروس وبصائر: ٦٨
دروس وبصائر: ٦٩
نقاط وتأملات: ٧٠
دروس وبصائر: ٧٠
نقاط وتأملات: ٧١
دروس وبصائر: ٧١
دروس وبصائر: ٧٢
نقاط وتأملات: ٧٢
دروس وبصائر: ٧٣
نقاط وتأملات: ٧٣
دروس وبصائر: ٧٣
نقاط وتأملات: ٧٤

دروس وبصائر: ٧٤
نقاط وتأملات: ٧٥
دروس وبصائر: ٧٥
نقاط وتأملات: ٧٦
دروس وبصائر: ٧٦
نقاط وتأملات: ٧٦
دروس وبصائر: ٧٧
نقاط وتأملات: ٧٨
دروس وبصائر: ٧٨
نقاط وتأملات: ٨٠
الرحمة الالهية أوسع وأشمل من كلِّ شيء: ٨١
دروس وبصائر: ٨١
نقاط وتأملات: ٨٢
دروس وبصائر: ٨٢
نقاط وتأملات: ٨٢
دروس وبصائر: ٨٣
دروس وبصائر: ٨٤
بحث حول العبادة: ٨٤
العبادة والولاية: ٨٩
نقاط وتأملات: ٩٢
دروس وبصائر: ٩٣
نقاط وتأملات: ٩٥
دروس وبصائر: ٩٥
نقاط وتأملات: ٩٦

دروس وبصائر: ٩٧
نقاط وتأملات: ٩٨
دروس وبصائر: ٩٩
نقاط وتأملات: ٩٩
دروس وبصائر: ١٠١
دروس وبصائر: ١٠٢
نقاط وتأملات: ١٠٢
دروس وبصائر: ١٠٣
نقاط وتأملات: ١٠٤
دروس وبصائر: ١٠٤
نقاط وتأملات: ١٠٥
دروس وبصائر: ١٠٥

صفات عباد الرحمن: ١٠٥

الخاتمة الحسنة: ١١٠

نقاط وتأملات: ١١٠
دروس وبصائر: ١١١

بحث حول شهر الدعاء: ١١٢

شروط الدعاء: ١١٤

ب- آداب الدعاء: ١١٥
ج - موانع الدعاء: ١١٥

الفهرس ١١٧